الاستذكار

لما للحبيب صلى الله عليه وسلم من الآثار

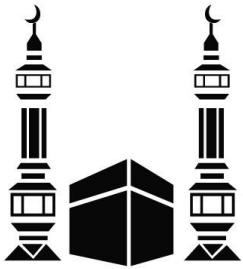

إبراهيم غلام
أبو عبد الرحمن

حقوق الطبع لكل مسلم دون زيادة أو نقصان

اللّٰهُمَّ إنا نبرأ من الثقة إلا بك....
ومن الأمل إلا فيك...
ومن التسليم إلا لك..
ومن التفويض إلا إليك...
ومن التوكل إلا عليك...
ومن الصبر إلا على بابك...
ومن الذل إلا في طاعتك...
ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم...
ومن الرجاء إلا لما في يديك
الكريمتين...

شُكر وتَقدير

❁ الشُّكر أولاً وأخيرًا للهِ تعالى.. الذي مَنّ عَلَيَّ بتأليف هذا الكتاب، فهو الذي ﴿**يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ {الأحقاف ٣٠}.. وما ذلكَ إلا فَضلٌ مِنهُ ومِنَّةٌ وَكَرَم..

❁ وطاعة لأمر الحبيب ﷺ: (لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاس)[1].

فإني أتقدم بالشكر الجزيل لكل من:

الأستاذ **أحمد ذياب عطايا**، رئيس قسم القرآن الكريم في مديرية أوقاف رام الله، الذي تَكَرّم بمراجعة الكتاب فقهيًا وتاريخيًا. والأستاذ **إسماعيل أبو عادي**، رئيس قسم الإشراف في مديرية التربية والتعليم الذي تَكَرّم بمراجعة الكتاب من جانبه اللغوي، والأستاذة **سمر حمادة**، التي بَذَلَت جُهدًا كبيرًا في مساعدتي، كما أنهم أبدوا لي إرشادات وتوجيهات قَيّمَةٍ، رَغْمَ مشاغلهم ووقتهم الضيّق. فَجَزَاهُم الله الخير كُله.. وبارك في عِلْمِهِم.. ووِفَّقَهُم إلى كُل ما يُحبه ويرضاه.. وَحَشَرَهُم مع حبيبهم ﷺ في الفردوس الأعلى..

كما أني أشكُر كُل من ساعدني في إخراج هذا الكتاب، سواء بالنصح أو التشجيع، أو بالتصحيح والتدقيق، أو تزويدي بالمراجع المساعِدَة، أو الطباعة أو بغيرها، فجزاهم الله خيرًا..

أبو عبد الرحمن

الإهداء

إلى الهادي الشفيع.. صاحب تلك الذكريات.. شفاء القلوب.. ونور العيون.. وخير ولد آدم.. عليه الصلاة والسلام..

إلى أمي العزيزة التي بذلت -وتبذل- كل ما في وسعها كي تراني أسعد إنسان..

إلى روح أبي الذي لم يفتر لسانه عن الدعاء لي، حتى أتاه اليقين..

إلى زوجتي الغالية التي صبرت – ومازالت - على انشغالي عنها بالكتابة والبحث، واحتَسَبَت ذلك عند بارئها جل جلاله.

إلى بنتي تبارك.. وإلى ابني عبد الرحمن..

أُهدي هذه الرسالة

إبراهيم غانم

تمهيد

يا ربِّ لَكَ الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سُلطانك، وَلَكَ الحمد حتى ترضى، وَلَكَ الحمد إذا رَضِيتَ، وَلَكَ الحمد بعد الرضى..

وأصلي وأُسلم على الحبيب الهادي.. ما ناح طير شادٍ.. وما نادى للصلاة المنادي.. فهو نور قلبي وضياء فؤادي.. عَمَّ خَيرُه المدائن والقرى.. لأن عُروته أوثق العُرى.. وهديهُ أحسن الهُدى.. فهو الذي لا ينطق عن الهوى.. إن هو إلا وَحيٌ يُوحى..

أما بعد.. لماذا لا يَسْتَشْعرُ كثيرٌ مِنَ المعتمرينَ أو الحجاج عَظَمَةَ الحَرَمَينِ، فَيَزُورونَهُمَا كَما يُزارُ أي مسجد، فلا يَتَأَثَّرُونَ عند زيارة المسجد النبوي أو الكعبة المشرفة..؟؟

سؤالٌ يَتَرَدَّد على أَلْسِنَةِ كثير ممن زاروا البلاد المباركة، نُحاول أن نُجيب عليه، كما نُحَاول أن نَصِفَ دواءً يزيدُ الإيمانَ.. ويَصِلُ بالفكر إلى أعلى المراتب، كيف لا وكلامنا عن محمدٍ العظيم.. محمدٍ القدوة.. محمدٍ الأسوة.. محمدٍ صاحب الخُلُق العظيم.. والسيرة الخالدة.. والمقام المحمود.. والدرجة الرفيعة.. وعن صحابته الكرام الذين اتبعوه بإحسان وساروا على الشريعة..

في الحقيقة ؛ إنَّ مِنْ أَهَمّ ما يَزيدُ إيمان المسلم " نيّته ".. نعم.. فإن كانت نِيَّة المعتمر أو الحاج من زيارة مكة أو المدينة ترويحية أو "شَمّة هوا" أو تجارة أو سياحة أو غيرها فهي فهذه نِيَّةٌ ناقصةٌ مبتورةٌ تحتاج إلى تجديد، فَأَنَّى لَهُ سُلّماً يرتقي به إلى مَعَالي درجات الإيمان؟ وَأَنَّى لَهُ بسفينةٍ تحمِلُهُ إلى أعماق

الفكر الخالص السليم الصادق والخشوع والتأثر بما يراه هُناك[1]؟ وَهُنا لابُدَّ لنا أن نُذَكّر بِأَهَمّ النوايا التي يجب أن يصطحبها الحاج أو المعتمر.. فمنها:

⇦ امتثال أمر الله تعالى الذي أمرنا فقال: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ {البقرة ١٩٦}.

⇦ التأسي برسول الله ﷺ والاقتداء به، فهو الذي أمرنا بقوله: (**خُذوا عَنّي مناسككم**)[2].

⇦ شَدُّ الرحال إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي، وليس إلى قبر النبي ﷺ ، فإن شَدّ الرحال إلى القبور لا يجوز إطلاقاً، وذلك طاعة للنبي ﷺ في قوله: (**لا تُشَدُّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**)[3].

⇦رغبة في زيارة قبر الرسول ﷺ وقُبور صحابته الكرام الأطهار، للذكرى والعبرة والعظة وتَذَكُّر الآخرة ، وذلكَ أيضاً امتثالاً وطاعةً لأمر رسولنا وحبيبنا ﷺ في قوله: (**زوروا القبور؛ فإنها تُذَكّرُكُم الآخرة**)[4].

⇦ رغبة في زيارة مشاهد وآثار الحبيب.. وأي حبيب..

هُوَ خَيْر مَخْلوقٍ وأكرم مُرسلٍ *** وشفيع قـومٍ أذنبوا وأسـاءوا

---

(١) نحن لا نُنكر على من ذهب للتجارة أو غيرها، لكن نحن نتكلم عن النية الحقيقية الأساسية الأولى.. فإنما الأعمال بالنيات.. وإنما لكل امرئ ما نوى، وهجرته على ما هاجر إليه..

(٢) أخرجه مسلم وغيره، وهو برقم: ٧٨٨٢ في صحيح الجامع الصغير.

(٣) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخرجه ابن ماجة، وهو في صحيح الجامع برقم: ٣٥٧٧.

أنواره العُظمى إذا ما أشرقت *** بين الخلائق فَالوَرَى سُعداءُ

هذا بالإضافة إلى أنَّ النَّظَر إلى الكعبةِ عبادة[٥].. وكذلك الأجر العظيم المضاعف هُناك.. فالركعة بألف ركعة في المدينة المنورة.. وبمائة ألف ركعة في مكة المكرمة.. كما تُضاعف أيضًا أُجور الأعمال الصالحة الأخرى، كذا قال الحسن البصري رحمه الله وأيده ابن القيم في زاد المعاد[٦].

ثُمَّ إِنِّي لَمْ أَجْعَل هَذهِ الرّسالة لِسَرد أحداث التاريخ.. ولا لفقهيات المناسك وأعمال العمرة والحج، وإنما هي كلماتٌ كتبتُها عن بعض الأماكن التي شَهِدَت الحبيبُ ورأتهُ، وما زالت تروي لنا قصصه وأخباره.. وتنشر علينا عبير آثاره.. صلى الله عليه وعلى أصحابه وأهل داره.. هذه المشاهد والآثار.. لديها الكثير من الأخبار.. أرضٌ وطئتها قدماه.. جبلٌ سمعه ورآه.. حجرٌ سَلَّمَ عليه وحجرٌ بناه.. وادٍ عَبَرَهُ وسهلاً شهدَ دُعاه..

كما أني لم أذكر كُل المعالم والأماكن التاريخية، فهناك أماكن ومساجد أخرى، فمن أراد الاستزادة في المعلومات فليُراجع كُتُب التاريخ والسير.. أو كتاب "مرشد السالكين، في آثار الحرمين " لأستاذنا الشيخ أحمد ذياب عطايا، و" مكة المكرمة تاريخ ومعالم" لمحمد محمود حمو، و"تاريخ المدينة المصور" لمحمد إلياس عبد الغني ، أو غيرها.

كما أني لـم أذكر القصص المشهورة بل أشرتُ إليها إشـارةً، ووضعـتُ في

---

(٥) ورد في ذلك حديث أخرجه أبو الشيخ وغيره، وضعفه العلماء، انظر ضعيف الجامع ٥٩٩٠ . وفي الحديث: (إن لكل شيء سيدًا، وإن سَيِّد المجالس قبالة القبلة) السلسلة الصحيحة ٢٦٤٥.

(٦) انظر تفصيل ذلك عندما تصل بنا القافلة إلى مكة المكرمة.

الهامش مختصر للقصص غير المشهورة، وذلك حتى لا تطول الكلمات كثيراً، والأفضل أن يُراجع القارئ الكريم كُتب السيرة للاستزادة.

أسأل الله العظيم أن يجعل رسالتي زاداً لكاتبها يوم يلقاه، وأن يجعلها زاداً لكل حاجّ ومُعتمر.. تزيدُ إيمانَهُ، وتُحَرّك الشوقَ في وجدانِهِ، فَيَسْمَعُ صوتَ صَليل السُّيوف.. وَصَهِيلُ الجياد.. ويسمع بكاء حبيبه ﷺ وأنينه رحمة بأمته.. ويستشعر جُهده وتضحيته، ليزداد حُبه له ﷺ وشوقه لرؤيته، فتزداد طاعته له.

ملاحظات مهمة:

١ ليس من السُّنة زيارة أماكن في المدينة المنورة سوى المسجد النبوي، وقُباء والبقيع وأُحد، والقبر الشريف من باب زيارة القبور لا من باب شَدّ الرحال.

٢ الحذر الحذر من تقليد ما يفعله بعض الجهلة من التَمَسُّح بالحديد أو الرخام، أو التوجّه أثناء الدعاء إلى القبر أو التماس الحاجات من النبي ﷺ، أو أخذ تربة من "أُحد" أو من أيّ مكان، أو أخذ طعام الحمام للبركة والشفاء.

٣ ينبغي للمسافر أن يَلْتَمِسَ رفيقاً صالحاً مُحبًا للخير مُعيناً عَلَيهِ، إن نسي ذَكَّرهُ، وإن ذَكَرَ أعانَهُ، وإن عَجَزَ قَوّاه، وإن ضاقَ صَدره صَبَّرَهُ.

أخي المسافر الكريم.. أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.. وزودك الله التقوى وغفر ذنبك وَيَسَّرَ لك الخير حيثما كُنْتَ.

أخوكَ أبو عبد الرحمن، إبراهيم إسماعيل غانم

يوم الأحد غُرَّة ربيع الأول ١٤٣٤ هـ/الموافق ١٣ / ١ / ٢٠١٣م

Email: ghanim500@gmail.com

تبوك

مِنْ هُنا نَبْدَأ.. مِنْ تَبُوك.. وَما أدراكُم ما تَبوك.. فعندما تَمُرُّ الحافلة بلوحةٍ إرشاديةٍ كُتِبَ عليها: "**تبوك ترحب بكم**" تبدأ الرياح تحمل إليكَ رائحة الحبيب.. تحمل أنسام الهداية.. تحمل العبير المحمدي.. أطيبُ طيب.. وأزكى عِطر عَرَفَهُ التاريخ.. نَعَمْ.. فهذا أبعد مكانٍ في الجزيرة وَطِئَتْهُ أقدام حبيب قلوبنا محمد ﷺ (٧)..

يا نُورَ قلبي في هُداكَ سعادتي *** وسرور قلبي بالذي ترضاهُ
جُعل النعيم لمن يُحِبُّ مُحمداً *** فَهُـوَ الـذي أثنى عليهِ اللهُ

إنها تبوك.. تلك الكلمة التي تحمل في طياتها الذكريات.. تبوك.. تلك المدينة التي تشهد ذرات ترابها على نصر الإسلام وعزته.. تشهد على زُهوق الباطل وأُفُولِه إذا ما ظَهَرَ الحق وارتفعت رايته.. ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾{الإسراء ٨١}..

تبوك.. ما عسانا أن نتذكر عندما نَمُرّ بها.. أو نَقِف على أرضها.. أو نشاهد ربوعها الخضراء؟؟؟ هل سنتذكر أن الله تعالى القدير.. يَنْصُر وَيُعِزّ.. وَيَرْزُق.. بِالأسبابِ.. وَبِغَير الأسبابِ.. بل وبعكس الأسباب؟؟

هل سنتذكر العُسرة وتضحيات الحبيب وصحابته، جوعهم.. وفقرهم.. وقد كان كل ثمانية عشر رجلاً يتعاقبون على رَكوبةٍ واحدة؟؟

---

(٧) سوى رحلته إلى الشام وهو صغير مع عمه أبو طالب.

أم سنتذكر إنفاق الصحابة؟ أبو بكر.. أبقيت لهم الله ورسوله.. وعمر.. أبقيت لهم مثله.. وعثمان.. آلاف الخيول بأحلاسها وأقتابها.. وعبد الرحمن.. والعباس.. وغيرهم الكثير.. رجالاً ونساءً..

هَلْ سَنَتَذَكَّر بُكاء فُقراء الصّحابة لأنهم لَمْ يَجِدُوا ما يُنفقونَ، فَتَوَلَّوا وَأَعينُهُم تفيضُ مِنَ الدَّمْعِ حزناً؟ فَنَبْكِي مثلهم عندما لم يُوفقنا الله تعالى لطاعة[٨]؟ وقد فَرّطنا في كثير من الطاعات.. حتى فرّطنا بالفرائض.. فرُحماك يا ربنا.. بكوا لأنهم لم يجدوا ما يُنفقون.. فما بالنا نحن في غفلة؟..

هِلْ سَنَتَذَكَّر ماهية الدنيا.. وماهية زُخرفها الزائل.. ومتاعها الرخيص الذي لا يُساوي شيئاً.. ونتذكر عندها مناديل سعد بن معاذ وما تُساوي[٩]؟ ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾{التوبة ٣٨}...

---

(٨) وردت قصتهم في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ .

التوبة ٩١ – ٩٢.

(٩) ذهب خالد بن الوليد ﷺ على رأس سرية من الفرسان إلى دومة الجندل، وأسر ملكها الأكيدر الكندي وأتى به إلى الحبيب ﷺ ، فصالحه على الجزية، وقد تعجب المسلمون من عباءة كان أكيدر يلبسها فيها الذهب والحرير، فقال الرسول ﷺ: (أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا) وفي رواية: (خير منها وألين). انظر السيرة النبوية للصلابي ٢-٦١٢.

قال النووي رحمه الله: " قال العلماء: هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه خير من هذا، لأن المناديل أدنى الثياب، لأنه مُعَدّ للوسخ والامتهان، فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد" شرح صحيح مسلم ١٦-٣٤.

ماذا سَنَتَذَكَّر؟ هل سَنَتَذَكَّر أبا خيثمة وعظمته[١٠]..أم ذو البجادين وتضحيته[١١].. أم أبا ذر ومجاهدته[١٢].. أم أننا سَنَتَذَكَّر خالد وقيادته؟ أم معاوية بن معاوية الليثي المزني وما يُحب[١٣]..؟؟

هل سَنَتَذَكَّر الصدق وثماره؟.. أم نتذكر الكذب والنفاق وعواقبه؟ وهـذا

---

(١٠) أبا خيثمة، رجل له امرأتان، بعد أن خرج الرسول ﷺ إلى تبوك رجع إلى بيته، فوجدهما قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبَرَّدَت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعامًا، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه، وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضحّ والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مُهيأ، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ،وخرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وعندما رأه الرسول ﷺ من بعيد قال: «**كن أبا خيثمة**»، فقالوا: يا رسول الله، هو –والله– أبو خيثمة، فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير.

(١١) قال عبد الله بن مسعود ﷺ: قمت من جوف الليل، ونحن في غزوة تبوك.. فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها، أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في لحده وهو يقول: «**ادنيا إليّ أخاكما**» فدلياه إليه، فلما وضعه، قال: (اللهم إني أمسيت راضيًا عنه، فارضَ عنه) قال (الراوي عن ابن مسعود): قال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. انظر: السيرة النبوية للصلابي، ٢- ٦١٣.

(١٢) خرج أبو ذر ﷺ مع الحبيب إلى تبوك، إلا أن حماره الذي يحمل متاعه كان ضعيفاً، فتأخر ، فقيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال: (دعوه، فإن يَكُ فيه خيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ الله بكم..)، فصبر أبو ذر على بعيره وتمهل، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، وترك حماره، ثم تبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا، حتى لحق به، فقال رسول الله ﷺ: (رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده).

(١٣) بينما الحبيب ﷺ عائداً من تبوك إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، مات معاوية بن معاوية المزني ، أفتحب أن تصلي عليه؟ قال: (نعم) فضرب بجناحه الأرض، فلم يبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، ورُفِعَ إليه سريره (يعني نعشهُ)، حتى نظر إليه، فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي ﷺ لجبريل: (يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله؟) قال: بحبه قل هو الله أحد، وقراءته إياها جائياً وذاهباً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال " انظر الاستيعاب ترجمة ٢٣٥٠.

كعب بن مالك وأصحابه شاهدون[١٤]..

أم أنَّنا سَنَتَذَكَّر مواقف المنافقين وأعداء الحق.. في تثبيط عزيمة المجاهدين في سبيل الله بالاستهزاء بالمنفقين، والتَّخَلّف عن الغزوة وتشجيع المتخلّفين، وإشاعة الفوضى بين المسلمين بتهويل المسافة، والحرّ الشديد، وغيرها من الأعذار الواهية.. فهل نُصدق أمثالهم يوماً ما؟

هل سنتذكر معجزات خير البشر وكرامات سيد الأنبياء؟ فتبوك مروجٌ خضراء يانعة وعينها تتدفق، بعد أن كانت جرداء، ببركة دعاء الحبيب[١٥].. والماء نزل في الصيف بدعائه[١٦].. وخبر ناقته وضياعها[١٧]..

ولا ننسى معاقبة رسول الله ﷺ للخائنين، فقد بلغه أن ناسًا يجتمعون في بيت سُوَيلِم اليهودي يُثَبِّطون الناس عن الجهاد، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم.

يا رب.. لا تحرمنا رؤيته.. ولا رؤية أصحابه.. يا أرحم الراحمين.

---

(١٤) كعب بن مالك ﷺ كان من الثلاثة المتخلفين الذين صدقوا رسول الله ﷺ ، فنجاهم الله تعالى بصدقهم وتاب عليهم بعد أن هذّب صفاتهم وأخلاقهم، وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة التوبة.

(١٥) قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ عندما رأى تبوك جرداء قاحلة: (يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مُلئ جنانًا) ، وقد صارت كذلك وما زالت، انظر السيرة للصلابي ٢-٦١٦.

(١٦) في طريق تبوك شكا الجيش للحبيب ﷺ قلة الماء، فدعا الله تعالى فجاءت سحابة فأمطرت في فصل الصيف (تموز)، ولكن تعنت المنافقين كان ظاهراً، حيث قالوا: سحابة مارة، فأراهم الله معجزات أخرى.

(١٧) استغل المنافقون هروب ناقة الرسول ﷺ، فأشاعوا أنه لا يعلم أين ناقته وهو نبي يوحى إليه،، فأخبرهم أنه لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى، وأن الله أخبره أنها في مكان كذا فجاءوا بها.

تيماء

على بُعْدِ ٢٦٠ كم تقريباً جنوبي تبوك تبدأ أرض تيماء بالظهور.. تيماء.. تلك المدينة التي تشهدُ لِعِزّ الإسلام وعظمته.. وَتَشْهَدُ أن دين الله غالبٌ لا محالة.. فهؤلاء اليهود الذين كانوا يسكنون فيها، ما أن سمعوا بانتصار الإسلام.. وتحديه للروم.. وظفره على قريش.. وهزيمته للتجمعات اليهودية في المدينة.. حتى أرسلوا إلى الحبيب ﷺ يطلبون الصلح.. وأعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون..

هذه المدينة.. تَشْهَد أن رسول الله ﷺ بلغ الرسالة.. وأدى الأمانة.. ونصح الأمة.. كُلّ الأمة.. فقد أرسل الحبيب ﷺ رسولاً إلى حَبْرِ تيماء وقومه.. فَسَلّم عليهم.. ودعاهم إلى دين الله الحقّ.. وأوصلَ إليهم الرسالة التي كلفه الله تعالى بها.. [١٨].

فماذا ستتذكر عندما تصل إلى تيماء؟؟ سنتذكر أن واجبنا -اقتداءً برسول الله ﷺ - أن نُبَلّغ دينه العظيم إلى كل العالم.. مهما كانت الأرض بعيدة.. وأياً كان سُكانها.. فهذا واجبنا.. نعم.. أوجبه الله علينا بأمره: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾{يوسف ١٠٨}.. فهلّا سعينا بِجِدّ إلى هذا الواجب؟؟

(١٧) "ركائز الدعوة إلى الله تعالى" صفحة ١٢٦.

خيبر

بَعْدَ تَيماء بنحو ٢٣٠ كم تقريباً إلى الجنوب تقع خيبر..

وَوُصولُكَ إلى خيبر لا شكّ أنه سِيُشغل فكرَكَ مرةً أُخرى.. سَيَفْتَح الباب أمام استذكارك للحبيب ﷺ وأصحابه.. لسيرتهم.. لتضحيتهم.. لجهادهم.. لدعوتهم.. لمعجزاته وكراماتهم.. فالمعتمرون أو الحجاج ينزلون في الاستراحات يشترون.. يأكلون ويشربون.. أما أنت ففكرُكَ مشغول بحبيبك ﷺ..

خيبر.. اسمٌ لا يخفى على أحد.. جاءها الحبيب ﷺ فاتحاً.. فَلَمْ تُغنِ عن أهلها حُصونُهم.. ولم تُغنِ عنهم قِلاعُهم.. ولم تُغنِ عنهم استعداداتهم إذا جاء أمرُ الله.. فقد قضى الله أن الحق غالب دائمًا.. ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾{الإسراء ٨١}..

خيبر.. تعني أن القلاع والحصون سَتُفْتَح عندما يكون جند الإسلام يُحبون الله ورسوله ويُحبهم اللهُ ورسولُه.. كما كان عَلِيّ رضي الله عنه.

خيبر.. تعني أن كُل المؤامرات على الحق ستسقُط.. لأن الله قضى أنه هو الغالب.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون[١٩]..

خيبر.. تعني أن القلوب والعقول سَتُفْتَح.. إذا كانت الرحمة صفة الداعاة إلى الله.. والاقتداء برسول الله ﷺ منهجهم..

---

(١٩) بعد أن أُخرجَ يهود بني النضير من المدينة، توجهوا إلى خيبر.. وأخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين.. بتحريض العرب الكفار المهزومين.. ودعوة بعض القبائل للمساندة مثل غطفان وغيرها.. وتجهزوا لغزوة الأحزاب. انظر: السيرة للصلابي ٢- ٢٩٨ وما بعدها.

ففي خيبر نتذكر أنه (**لأن يهدي الله بكَ رجلاً واحدًا خيرٌ لَكَ من أن يكون لَكَ حُمُرُ النّعم**) أو (**خيرٌ لَكَ مما طَلَعت عليه الشّمسُ وَغَربت**)[٢٠].. فهل نسعى لهداية الناس كما سعوا؟ فنكون مفاتيح لأبواب الخير.. مغاليق لأبواب الشّر.. داعين إلى الهُدى.. ناشرين لدين الله.. ففي الحديث الحسن الذي أخرجه ابن أبي عاصم في "السّنة" أنه ﷺ قال: (**عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَهُ الله مفتاحًا للخيرِ مِغلاقًا للشرِّ، وويلٌ لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير**) . وفي خيبر نتذكر أنه بالصدق مع الله ينال الإنسان ما تمنى[٢١].. فهل نَصْدُقَ مع الله كما صدقوا؟؟

في خيبر.. نتذكر أن كَرَم الله تعالى أعظم من كل كَرَم.. فهو أكرم الأكرمين.. ومن أسلم لله جل وعلا وَصَدَقَ فإنه سيُكرمه... فإذا أقبلنا على الله بصدقٍ وبلا رَيبٍ أو شَكّ.. فإنه سيُكرمنا بلا شك، وقصة ذلك العبد الحبشي الأسود الذي أسلم وأخلص فـي وقت ذُروة القتال.. وفي وقت تطـاير

---

(٢٠) قال النبي ﷺ لعليّ ﷺ عندما أمره بالتوجه لفتح خيبر: (**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك...**) الحديث متفق عليه، والرواية الثانية في سندها مقال (السلسلة الضعيفة رقم ٢٩٥٠.)

(٢١) عندما قَسّم النبي ﷺ بعض غنائم خيبر أثناء حصار القلاع، وأعطى كلّ نصيبه، قَسَمَ لأعرابيّ قسمًا، فقال: ما هذا؟ قال ﷺ: (**قسمته لك**) قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمي إلى هاهنا - وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال ﷺ: (**إن تصدق الله يصدقك**) فما لبثوا إلا قليلا حتى بدأ قتال العدو، فأُتي به إلى النبي ﷺ قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ : (**أهو هو؟**) قالوا: نعم. قال: (**صدق الله فصدقه**).. ثم كفنه النبي ﷺ في جبته التي عليه، ثم صلى عليه، وقال: (**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك**). رواه النسائي، صحيح الترغيب والترهيب ١٣٣٦.

الرمـاح فوق الرؤوس.. تشهد على ذلك[٢٢]...

في خيبر.. نَتَذَكَّر أَنَّ الصَّبر مفتاح الجنان.. فَنَصْبِر كما صَبَرُوا.. ولا نكون كمن تَعَجّل.. ففي العجلة الندامة[٢٣]..

في خيبر.. نتذكر أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب زعيم يهود.. وما أعظمها من امرأة.. صادقة صدوقة.. كريمة عفيفة شريفة.. إنها صفية الصافية.. ذات العين الخاشعة الباكية..

كان موعدها مع السعادة في خيبر.. فقد أعتقها الحبيب ﷺ وتزوجها.. فأصبحت أماً للمؤمنين.. واللهِ يعجز القلم عن وصف سعادتها.. فما تدري

---

(٢٢) إنه عبد أسود حبشي من أهل خيبر.. كان في غنم لسيده.. أقبل بغنمه إلى رسول الله ﷺ فقال: ماذا تقول؟ وما تدعو إليه؟ قال: **(ادعو إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إلَهَ إلا الله وأني رسول الله، وألا تعبد إلا الله)** قال العبد: فما لي إن شهدت وآمنت بالله عز وجل، قال: **(لك الجنة إن مت على ذلك)**. فأسلم ثم قال: يا نبي الله، إن هذه الغنم عندي أمانة، فقال رسول الله ﷺ: **(أخرجها من عندك وارمها بـ (الحصباء) فإن الله سيؤدي عنك أمانتك)** ففعل، فرجعت الغنم إلى سيدها. ثم التقى المسلمون واليهود، وَقُتِلَ فيمن قُتِل العبد الأسود واحتمله المسلمون إلى معسكرهم، فلما رآه الحبيب ﷺ قال: **(لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خيبر، ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين، ولم يصل لله سجدة قط)**.. فأي كرم أعظم من الشهادة في سبيل الله؟ السيرة النبوية للصلابي ٢- ٤٤٢.

(٢٣) كان في جيش المسلمين بِـخيبر رجلاً شديداً على المشركين، يضرب بسيفه ضرب الأبطال.. فقتل منهم ما قتل.. لكن رسول الله ﷺ قال: **(أما إنه من أهل النار)**. فقالوا: أيّنا من أهل الجنة إن كان من أهل النار؟ فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبدًا، فتبعه، فَجُرِحَ، واشتدت جراحته واستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: **«وما ذاك»** فأخبره، فقال النبي ﷺ: **(إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة)** أخرجه البخاري.

بأيها تسعد.. أبعتقها.. أم بزوجها.. أم لأنها صارت من أمهات المؤمنين.. أم بقول النبي ﷺ لها: (**إنكِ لابنة نبي، وإن عَمّكِ لنبي، وإنكِ لَتَحت نبي**)[٢٤]؟.

صفية.. أم المؤمنين.. الصادقة.. نعم.. فقد شهد بذلك أصدق الخلق وحبيب الحق ﷺ.. انظروا إلى هذا الموقف الرائع.. فعندما مَرِضَ الحبيب ﷺ مرضه الذي تُوُفّي فيه.. وفي خِضَمّ ألمه الشديد.. والحمى التي لا تفارقه.. قالت صفية رضي الله عنها: إني والله يا نبي الله لَوَدِدتُ أنَّ الذي بِكَ بي، فَغَمَزَ بها أزواجُه، فأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: «**مَضْمِضْنَ**»، فَقُلْنَ: من أي شيء فقال: «**من تغامُزِكُنَّ بها، والله إنها لصادقة**»[٢٥]... رضي الله عنك يا أمنا.. يا صادقة..

في خيبر.. نتذكر محاولة اغتيال اليهود للنبي ﷺ بالشَّاة المسمومة.. التي أعدتها زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سَلّام بن مُشْكِم، وكانت قد سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل: الذراع، فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة، ولم يسغها، وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمة فمات[٢٦]... فهل نعتبر من هذا؟ هل نتذكر أنهم أعداء للإسلام والمسلمين وأنّه ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ {البقرة ١١٠}، لكن يَجب أن لا ننسى حقيقة: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى**﴾.

---

(٢٤) بلغ صفية أن حفصة رضي الله عنهما قالت عنها: بنت يهودي، فَبَكَت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: (ما يُبكيكِ؟) فأخبرته، فقال النبي ﷺ: (**إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليكِ؟) ثم قال: (اتقِ الله يا حفصة)**. رواه الترمذي، وصححه الألباني، انظر المشكاة ٦١٨٣.

(٢٥) انظر: زاد المعاد (٣/٣٢٨).

(٢٦) السيرة النبوية للصلابي ٢- ٤٥٠.

في خيبر.. نتذكر احترام وتقدير الرسول ﷺ للنساء.. فقد سَمَحَ لَهُنَّ بالمشاركة في القتال، كالرجال[٢٧].. إنه نبي العدل.. إنه نبي الحق ﷺ.. وهكذا كانت حياة الرسول ﷺ تعليمًا وتربية للأمة في السّلم والحرب على معاني العقيدة وحقيقة العبادة..

أيها الغالي.. هذا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ.. وجزءٌ من كُلٍ.. مما يُمكن أن نَتَذَكّرُهُ في خيبر.. تلك الكلمة التي تعني في قاموس الحق: نصر للإسلام والمسلمين.. وتعني الفشل الدائم لكل محاولات الشر.. ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾..

(٢٧) جاءت نسوة من بني غفار إلى الحبيب ﷺ فَقُلْنَ: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -أي إلى خيبر- فَنُدَاوِي الجرحى وَنُعِين المسلمين بما استطعنا، فقال: **(على بركة الله)**، قالت: فخرجنا معه... الحديث، وهذه صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع المسلمين.

المدينة المنورة

ما أن تقترب من حدود المدينة المنورة.. حتى يطير القلب فرحًا.. انظر إليه.. إنه يُسابق الحافلة.. بل يُسابق الزمن للوصول إلى هُناك.. وما أدراك ما هُناك.. هناك الحبيب... هناك طيبة الطيبة.. حاضنة الإسلام.. مهجر الحبيب وسكنه.. تمرها شفاء.. وتُربتها علاج.. وماؤها صحة..

طيبة.. القلوب تحِنّ رغبة إليها.. والنفوس تنشرح بنسيمها العليل.. والعيون تبكي شوقًا وفَرحًا بمرآها.. نعم تبكي فرحًا..

هَجَمَ السّرورُ عَلَيَّ حتى أنَّهُ *** من فرطِ ما قد سَرّني أبكاني

يا عينُ قد صار البُكا لك عادة *** تبكين في فَرَحٍ وفي أحزانِ

إنها المدينة المنورة.. عاش فيها ﷺ أكثر من عشر سنين.. فانطلقت منها طلائع الخير.. وطلائع الهدى.. وطلائع الفتح.. وطلائع النصر.. فانتشرت فيها ومنها، فَعَمَّت بقاع الأرض كُلّها.. وَزَيَّنَت أطراف الدنيا بـ (**لا إلَهَ إلا الله محمد رسول الله**)..

المدينة.. طيبة الطيبة المباركة.. آوى أهلُها الحبيب وآزروه.. أكرموه ونصروه.. أحبهم وأحبوه.. فنالوا الكرامة والشرف والرضوان.. وكان حُبّهم آية الإيمان وبغضهم آية النفاق.. بل إنه ﷺ تمنى أن يكون منهم.. (**ولو لا الهجرة لكنتُ امرءًا من الأنصار**).. (**لا يحبهم رجلٌ حتى يلقى الله؛ إلا لقي الله وهو يُحِبه، ولا يبغضهم رجل حتى يلقى الله؛ إلا لقي الله وهو يبغضه**).. (**لو سَلَكَ الناس واديًا أو شعبًا لسلكتُ وادي الأنصار وشعبهم**).. (**من**

استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه من مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة)[٢٨]..

المدينة.. توفي فيها الحبيب.. ودُفن فيها.. وهاهو جسده الطاهر باقٍ فيها إلى يوم يُبعثون..

أنا المدينة من في الكون يـجهلني *** أيُـجهل النجم في الليـل إذا اشتعلا
أنا الجميلة من في الحسن يقربني *** وأشرف الخلق وسط القلب قد نزلا
أنـا المنورة الأرجاء... يعصمنـــي *** حب النبي الذي بالـحق قـد كملا
وخير من سار فوق الأرض قاطبة *** ومن إلـى سدرة العلياء قد وصلا

ماذا ستتذكّر عند وُصولك المدينة المنورة؟؟ لا شك أنك ستتذكر الكثير.. الكثير.. سيرجع بك شريط الذكريات إلى تاريخ عمره أكثر من ١٤٣٣ سنة هجرية.. لكنه مازال محفورًا في قلوب المسلمين.. خالدا في فكرهم.. ثابتاً في عقيدتهم..

المدينة المنورة.. في كُل شبر منها ذكرى.. وفي كل زاويةٍ أثر.. وفي كل سهل حكاية.. وعلى كل جبل شاهد.. ومن هذه الشواهد الحية:

"**المسجد النبوي**" أقدس الأماكن على وجه الأرض بعد بيت الله الحرام.. المسجد الذي شارك الحبيب ﷺ في بنائه بنفسه.. فَحَفَرَ معهم في الأساسات.. كما أنه حمل بعض حِجَارَته على كتفه الشريف..

---

(٢٨) الأحاديث النبوية في فضائل الأنصار كثيرة جدًا، انظر الترغيب والترهيب، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة إلى الممات وما جاء في فضلها.

المسجد النبوي.. كانت مساحته ابتداءً (٢٤٧٥) متراً مربعًا.. لكن النور الذي خَرَجَ مِنْهُ لامس أطراف الدنيا.. وعانَقَ مشارقها ومغاربها، بل عَمّ الإنسَ والجانّ.. العرب والعجم.. الصغار والكبار.. الرجال والنساء..

المسجد النبوي.. عنوان الـهداية.. مصدر الـخير والبركة.. منطلق النـور والانتصارات والفتوحات ومصدرها.. ذلك المكان الذي يُخْتَزَل فيه تاريخٌ عريقٌ.. وعَلَمٌ خَفَّاقٌ عالٍ.. وعِلمٌ للأمة نافعٌ.. وحضارةٌ قامت ودامت..

وهذا المسجد الشريف المبارك.. ما زالت تشهد فيه شواهد وعلامات.. منها:

قبر الرسول ﷺ

تحتار الكلمات.. وتتبعثر الأحرف.. ولا يستطيع أديبٌ أو كاتب مهما بَلَغَ من الفصاحة والبيان أن يَصِفَ شُعور المُحِبّ عندما يزور قبر حبيبه محمد ﷺ؟.. وزيارته من أفضل الأعمال.. وأَجَلّ القربات الموصلة إلى ذي الجلال.. وأن مشروعيتها مَحَلّ إجماعٍ.. بلا نزاع[٢٩]..

كَم يجب أن تكون درجة الاحترام والتقدير والأدب والذوق والهدوء والاتعاظ والتفكّر والتأمُّل عندك -أيها الغالي- وأنتَ تدخل "باب السلام"

---

(٢٩) أحكام وخصائص الحرمين ٨٦٥/٢. قال بعض الناس: إن تراب قبر الرسول ﷺ أفضل من الكعبة المعظمة، وقد سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلكَ فأجاب: "الحمد لله ، أما نفس محمد ﷺ فما خلق الله خلقا أكرم عليه منه ، وأما نفس التراب فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام ، بل الكعبة أفضل منه ، ولا يعرف أحد من العلماء فضل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض ، ولم يسبقه أحد إليه ، ولا وافقه أحد عليه ، والله أعلم" انتهى . "مجموع الفتاوى" (٣٨/٢٧) .

قاصداً السلام على حبيبك ﷺ.. لا شكّ أن قلبك ينبض بقوة.. وأرجلك لا تكاد تستطيع حملك.. كيف لا وأنت ستقف بعد قليلٍ أمام حبيبك.. الذي طالما ذَكَرْتَهُ فَفاضَتْ عيناك شوقاً لرؤيته.. الذي تُحِبّهُ وأنت لم تَرَهُ، وتُطيعه

وتقتدي به وأنت لم تسمعه..

كُلّ القلوبِ إلى الحبيب تميلُ *** ومعي بذلكَ شاهدٌ ودليلُ

أما الدليلُ إذا ذَكَرتَ مُحَمّدًا *** صارت دموع العاشقين تسيلُ

كيف تَصِفُ شعورك - أيها الغالي - والمسافة بينكَ وبينه تقصُرُ شيئًا فشيئًا؟؟ كيف بكَ وأنت تقف أمام محمدٍ ﷺ.. وجهكَ يُقابل وجهه.. مكان وقوفك يبعد عن قدميه نحو خمسة أمتار؟؟.. إذا سلّمت عليه.. رَدّ عليك السلام[٣٠]... بل إن هُناك ملائكة موكّلة بتبليغه السلام منك أينما كنتَ..

هذا حبيبك ﷺ أمامك الآن.. ماذا تُريدُ أن تقول له.؟؟ الذي تحمل من الشدائد من أجل أمته... سال دمه.. طُرد من داره.. داسوا على رقبته من أجلها.. جاع وسُبّ ورُمي بالحجارة من أجلها.. وهو يقول: (أمتي أمتي).. ماذا تُريد أن تقول له؟

أكادُ أجزم أنَّكَ ستقول لَهُ بِكُلّ إخلاص: يا حبيبي يا رسول الله.. يا أرحم خلق الله.. يا أصدق خلق الله.. يا من سَتَشْفَعُ لي أمام الله يوم القيامة..

---

(٣٠) قال ﷺ: (ما من أحدٍ يُسَلّم عَلَيَّ إلا رَدَّ الله إليّ رُوحي حتى أرد عليه السلام) صحيح الترغيب ١٦٦٦.

سوفَ أُجدد لك البيعة.. من الآن.. لن أُخالفك في أمر.. لن أعصيكَ في شيء.. سأُطيعك وأطبق سُنتك في كل أمور حياتي.. فطاعتكَ طاعة لربي جل وعلا.. ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾{النساء ٨٠} وبطاعتك سَيُحبني الله ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾{آل عمران ٣١}.. لكن يا تُرى.. لو أن حبيبك ﷺ رآك وأنت على حالك اليوم.. رأى عبادتك.. رأى أحوالك في نفسِكَ وأهلِكَ وبيتِك.. ما تظنه سيقول لك؟؟ هل سَيُحبّك.. هل سيرضى عنكَ؟؟؟

يـا خيرَ مخلوقٍ وأفضلَ مُرسلٍ *** وشفيع قـومٍ أذنبوا وأساءوا
أنوارُكَ العُظمى إذا ما أشرقَت *** يَومَ القِيامةِ فالورى سُعداءُ

للتذكير فقط؛ فإنه ليس من المشروع شدّ الرحال إلى قبر الرسول ﷺ ، ولا يجوز مطلقاً ما يفعله بعض الناس من التمسح بحديد الحجرة الشريفة أو تقبيله، أو استقبال القبر في الدعاء.

بيت حفصة بنت عمر رضي الله عنها

انظر -أيها الغالي- وأنت تقف قبالة وجه الحبيب ﷺ إلى تحت قدميك.. تجد آثاراً لأمك حفصة بنت عمر بن الخطاب.. الكريمة زوجة الكريم وبنت الكريم.. الصوامة القوامة.. التقية النقية.. منارة العلم.. وارثة الصحيفة.. وحارسة القرآن..

حـفصة.. التي طَلَّقَها الرسول ﷺ يوماً، فَـأَنْـزَلَ الله تعالى جـبريل عـليه

السلام يأمُره بإرجاعها.. قال ﷺ: (**قال لي جبريل: راجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة**)[٣١]..

أما يكفيها هذا شرفاً...؟ تَذَكّر أمك حفصة.. فَهُنا كان بيتُها..

بيت عائشة بنت الصديق رضي الله عنها

انظر أمامك الآن.. خلف هذا الجدار بيت أمك عائشة.. الصديقة بنت الصديق.. التي نزل بحقها قرآنٌ يُتلى إلى يوم الدين.. زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.. بيتها كان مهبط الوحي.. ومنبع الفوائد.. ومجمع العلماء.. ملأت الدنيا علماً.. فهي أفقه نساء الأمة على الإطلاق.. رضي الله عنها.. وبيتها أعظم البيوت.. ففي هذا البيت كان ﷺ يتفكر لهداية البشرية كُلّها.. فيه كان يقوم الليل داعياً لأمته: (**اللهم أمتي أمتي**).. وفيه كان يلتمس لنا الأعذار.. (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)..

ذلك البيت الذي فيه قبر الحبيب وصاحبيه.. عمالقة الإسلام...

ونشهـدُ أن الله خَـصّ نبيـهُ *** بأصحـابِهِ الأبرار فَضلاً وأيّـدا
فَأَفْضَلُهُم بعد الـنبي مُـحمدٍ *** أبو بكرٍ الصديق ذو الفضل والنَّدى
وَمِنْ بَعْدِهِ الفاروقُ لا تنسَ فِضْلَهُ *** لقد كان للإسلام حصناً مُشيدا

---

(٣١) رواه أبو داود، انظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٠٧.

بيت سودة بنت زمعة رضي الله عنها

أعلمُ عِلْمَ يقين أنّك لا تُريد مُفارقة حبيبك ﷺ ولا صاحبيه.. فما أجمل ان تكون قريبًا منهم بروحك وجسمك.. لكن تذكّر أن هُناك إخوانًا لك يصطفون يُريدون أن يُسلّموا على حبيبهم ﷺ..

الآن اخطُ خطوات إلى يمينكَ تجد مسافة بين حَدّ المقصورة الشريفة (الجدار الحديدي) وجدار المسجد.. هُنا توقّف.. هُنا تَفَكّر.. هُنا ارجع بذاكرتك سنين طوال.. فَهُنا كان بيتُ أُمنا "سودة بنت زمعة ﵂".. أُمّ المؤمنين، وأول امرأةٍ تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة خديجة ﵂..

سَودة.. عنوان الإيثار والمحبة.. عنوان المسارعة إلى رضا الله ورضا رسول الله ﷺ.. فقد حاولت قدر استطاعتها أن تملأ على رسول الله ﷺ بيته سعادة وهناءً وفرحًا وراحة.. لِتَسُدّ ثغرة فُتحت بوفاة خديجة.. فكانت تُخفف عن حبيبها - وحبيبنا - ﷺ ما كان يلقاه من قُريش... ووَهبت ليلتها منه لعائشة ﵂ تبتغي بذلكَ رضوان الله بإسعاد رسول الله ﷺ..

سَودة.. الحبيبة زوجة الحبيب.. هاجرت الهجرتين.. إلى الحبشة وإلى المدينة.. وبقيت مع رسول الله ﷺ حتى فارق الدنيا إلى الرفيق الأعلى..

فماذا ستتذكر عندما تقف مكان بيت أمك سَودة؟ ستتذكر الإيثار.. الحب.. المسارعة إلى رضا الله ورسوله.. التضحية والهجرة في سبيل دين الله..

رحمكِ الله يا أماه.. رضي عنكِ.. وجمعنا معكِ في مستقر رحمته..

بيت أم سلمة رضي الله عنها

"باب جبريل".. هو باب في الناحية الشرقية من الحرم.. قف أمامه.. خُذ نفساً عميقًا.. استعد لِتُعيدَ ذكريات الماضي.. الآن.. ادخل الباب.. ألا تجد أنواراً تتلألأ؟ ألا ترى شُموسًا على الأرض تُضيء؟ لو أنك حَدّقتَ ببصيرتك لرأيتها.. فعلى شمالكَ كان بيت أمك.. أم سلمة.. وما أدراكَ مـا أُم سَـلَمة.. هند بنت أبي أُمـيّة.. ذات الشرف العـالي.. والنسب العريق.. أُم سَلَمة.. كانت معطاءَة اليد.. صافية النفس.. تعرف مكامن الرحمة فَتُفَجّر السعادة في نُفوس الناس تفجيرًا[٣٢]..

أم سلمة.. من فقهاء الصحابيات.. كيف لا تكون كذلكَ وقد سمعت القرآن من فم رسول الله ﷺ.. وَسَمِعَت أحاديثَهُ.. وَنَهَلَتْ مِنْ مَعِينِه؟

ماذا ستتذكّر عندما تقف أمام بيت أُمّ سلمة؟ ستتذكّر التضحيات.. الجهاد.. الصبر.. فهل ستتذكّر كَيفَ حُرمت من زوجها وابنها.. سنة كاملة.. وصبرت لله[٣٣]؟ ألا تقول أنت الآن: **نفسي**.. **وولدي**.. **ومالي**.. **فداءً لدين الله؟؟**

---

(٣٢) نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة، صفحة ٢٢٥ وما بعدها.

(٣٣) لما عزم أبو سلمة ﷺ الهجرة إلى المدينة جهز بعيره، ثم حمل زوجته عليه، وحمل معها ابنها سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة -أهلها- قاموا إليه فقالوا: هذه نفسكَ غلبْتَنَا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها إلى البلاد؟ فنزعوا خطام البعير من يدها وأخذوها منه. وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد -أهله- وقالوا: لا، والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. فَفُرّقَ بيني وبين زوجي، وبين ابني... وبقيت ﷺ حبيسة سنة كامل حتى فَرّج الله عنها.. وذهبت إلى زوجها في المدينة. السيرة النبوية للصلابي بتصرف ١-٤١٩.

أم أنك ستتذكر خدمتها لزوجها ورعايتها له؟ فعندما أصيب زوجها أبو سلمة في أُحد اعتنت به ورعته أشد الرعاية مدة طويلة حتى برئ ﷺ..

أم أنـك ستتذكر كيف أبدلها الله تعالى خيراً ، عندما صَبَرَت واحتسبت وقالت ما أمرها الرسول ﷺ به[٣٤]، فتعزم -أيها الغالي- على الصبر عند المصائب.. وتقول: لن أقولَ إلا ما يُرضي ربنا..

أم أنك ستتذكر علمها ورجاحة عقلها؟ ففي الحديبية عندما أشارت على الرسول ﷺ برأيها الصائب[٣٥]؟ فأنقذت به الصحابة من الوقوع في معصية الرسول ﷺ... إنها أُمّنا أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها.. وهنا كان بيتها..

---

(٣٤) عن أُم سلمة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها)**، قالت: فلما مات أبو سلمة قُلتُ: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ.. ثم إني قلتها فأخلف الله لي خيرًا منه رسول الله ﷺ . رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٣٥) بعد عقد صُلح الحديبية، تضايق الصحابة ومنهم عمر ﷺ، وقالوا لرسول الله ﷺ: لِمَ نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : **(إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري)** . قال عمر ﷺ : أو لست تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : **(بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟)** قلت: لا ، قال: **(فإنك آتيه ومطوف به)**. قال : فأتيت أبا بكر... فلما فرغ من كتابة الصلح قال رسول الله ﷺ لأصحابه : **(قوموا فانحروا ثم احلقوا)**، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد.. فدخل ﷺ على أم سلمة ، فذكر لها ما لقى من الناس ، قالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، ففعل ذلكَ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضًا.

بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها

إذا دخلتَ من "باب جبريل" رأيتَ بيت أم سلمة ﵂ إلى يسارك.. أما إذا نظرتَ عن يمينك فإنك سترى النور الذي ينبعث من مكان بيت أُمّنا زينب بنت جحش.. لا تتسع المجلدات لذكر مناقبها.. فسيرتها كلها ضياء ونور وخير وبركة.. فقد كانت من سيدات النساء دينًا وخُلُقًا وورعًا ومعروفًا.. كيف لا تكون كذلكَ وابن خالها رسول الله ﷺ [٣٦].. وأخوالها حمزة والعباس.. وأخوها عبد الله صاحب أول لواء عُقِدَ في الإسلام..

يكفيها شَرَفًا أن الله تعالى زوجها لحبيبه ﷺ من فوق سبع سماوات.. فَلَم يُسجّل عقد القَران في سجل الأحوال المدنية.. إنما سُجّل في الذكر الحكيم.. الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾{فصّلت ٤٢}..

ماذا ستتذكر وأنت تقف عند بيت أمكَ زينب؟ أتتذكّر زُهدها.. أم كَرَمها.. أم طاعتها لأوامر رسول الله ﷺ ؟؟

أم أنك ستتذكّر أن هذا البيت بيت علمٍ وتَعَلُّم؟.. فقد كان منبعاً للعلم.. فكم حصل فيه من فتاوى وأسئلة أجاب عليها الحبيب ﷺ.. وفي هذا البيت دخل الحبيب ﷺ مرة على زينب رضي الله عنها ﵂ فزعًا يقول: (**لا إله إلا الله.. ويلٌ للعرب من شَرّ قد اقترب.. فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل**

---

(٣٦) أُمها هي أميمة بنت عبد المطلب عَمّة رسول الله ﷺ.

هذه) وَحَلَّقَ بين أصبعيه الإبهام والتي تليها.. فَقُلْتُ: يا رسول الله أنهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: (**نعم إذا كَثُرَ الخبث**) رواه البخاري ومسلم.

رحمكِ الله يا أماه.. ورضي عنكِ.. وجمعنا وإياكِ في جنته.. آمين.

بيت جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

كما دخَلتَ من "باب جبريل" ادخل الآن من "باب النساء" وهو على يمين الداخل من "باب جبريل".. لكن قبل أن تدخُل خُذ نَفَسًا عميقًا مَرَّةً أُخرى.. واستعد لتستعيد الذكريات.. ولتَطُفْ بفكركَ في سنواتٍ خَلَت.. وتاريخٍ مضى.. إنها أنصع أيام التاريخ كُلّه.. إنها أيام تعطرت بأنفاس الحبيب.. وما أدراكم ما الحبيب.. انقاد له الشجر.. وبين يديه سَبَّح الحجر.. وبدعائه انهمر المطر.. من بين أصابعه نَبْعُ الماء انفجر.. عَرَقه طيبٌ ريقه شفاء.. خُلقه القرآن ووجهه ضياء..

تَقَدّم من باب النساء خُطوات.. سَتَجدُ أنوارًا تكادُ تخطف بالأبصار.. انظُر إلى يسارك.. ستجدُ مكان بيت أُمك جويرية بنت الحارث ﵂.. وهذه باختصار قِصّتها: فقد حاصَرَ النبي ﷺ بني المصطلق.. وامتثالاً لأمر ربه جل وعلا أمر ﷺ عمر بن الخطاب ﵁ أن يدعوهم إلى دين الإسلام ليعصموا دماءهم وأنفسهم.. ويسيروا في ركب الهداية والهُدى.. فأبى القوم وركبهم شيطان الغرور.. فَحَمَلَ المسلمون عليهم..وانتصروا.. وانهزم اليهود.. وتفرّق

عنهم من ساندهم من العرب.. فَقُتِلَ مَن قُتِل.. وأُسِرَ من أُسِر.. وكان من بين السبي بنت زعيمهم "جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار".. التي أسلمت فأدّى رسول الله ﷺ عنها كتابتها وأعتقها وتزوجها.. فنالت أعلى المراتب.. وأشرف المناصب.. وأعظم لقبٍ عرفه التاريخ.. لقب "أُمّ المؤمنين".. يا ليت شعري كم كانت سعادتها في هذه اللحظات[٣٧]..!!

وعندما ترامت أخبار زواجه ﷺ منها إلى مسامع جيش المسلمين.. هؤلاء الجنود الذين صَقَلَت التربية المحمدية عقولَهُم.. وهَذَّبت الآيات القرآنية نفوسَهُم.. قالوا: أصهار رسول الله ﷺ!! فأرسلوا كل من في أيديهم من قومها.. قالت عائشة ﵂: ما أعلم امرأةً أكرم على قومها منها[٣٨].

جويرية.. عاشت أجمل وأسعد أيامها.. بل لحظاتها.. في كنفِ البيت المتواضع.. بعد أن كانت في قصر أبيها المنيف.. ثم قصر زوجها (مُسافع).. لكنها ما وجدت البركة سوى هُنا.. وما أدراك ما هُنا.. هُنا بيت النبي والنبوة.. فماذا ستتذكّر عندما تقف في مكان بيتها؟؟ هل ستتذكّر عبادتها واجتهادها

---

(٣٧) دخلتْ جويرية على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: (فهل لكِ في خير من ذلك؟). قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: (أقضي عنكِ كتابتكِ وأتزوجكِ). قالت: نعم يا رسول الله، قد فعلت. قالت عائشة ﵂: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث. فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم. فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها. وجاء أبوها الحارث بن أبي ضرار بعد الوقعة، بفداء ابنته، إلى المدينة، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلم.

(٣٨) أخرجه أحمد وأبو داود ٣٩٣١.

في الطاعات وذكرها لربها جل وعلا[٣٩]؟ جهاد المسلمين وتضحيتهم؟ أم ستتذكّر رحمة المسلمين وحُبّهم لرسول الله ﷺ وإكرامهم لأهله؟ أم ستتذكّر أن الدنيا مهما رمت الإنسان بزخارفها، لا شكّ أنه سَيُفارقها، أو تُفارقه، وما عند الله خيرٌ وأبقى.. اللّهُمَّ ارحم أمنا جويرية وأسكنّا وإياها جنة الخلد..

بيت أم حبيبة رضي الله عنها

أَعرف أنكَ عِشتَ لحظاتٍ هانئةٍ ممتعةٍ رائعةٍ مع أُمك جويرية.. ومن الصّعب فراق مكان بيت عاش فيه الحبيب ﷺ.. لكن للمعالم بقيّة.. انظر -من فضلكَ- إلى يمينك ستُلاحظ أنوارًا مكان بيت أُمكَ "أُم حبيبة".. أتعرف من هي "أُم حبيبة"؟؟؟

كُنيتها "أم حبيبة".. اسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب.. أسلمت لله تعالى صادقة مخلصة.. وباءت كُلّ مُحاولات أبيها[٤٠] وأهلها لردّها عن دين الله بالفشل.. ذلكَ لأن الإيمان قد لامس شغاف قلبها.. وإذا لامس الإيمان قلب العبد عَجَزَ الكونُ كله عن اقتلاعه.. فأصله ثابت وفرعه في السماء..

---

(٣٩) كانت أم المؤمنين جويرية ﵂ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات والقانتات الصابرات فقد خرج النبي ﷺ من عندها إلى صلاة الفجر وهي في مسجدها (أي المكان الذي تصلي فيه في بيتها)، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: **(ما زلت على الحال التي فارقتُكِ عليها؟)** قالت: نعم، قال النبي ﷺ: **(لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته)** أخرجه مسلم.

(٤٠) كان ذلكَ قبل إسلامه ﵁.

عُذّبت أم حبيبة ﵂ وأوذيت وضُيّق عليها.. كغيرها من المسلمين.. وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها ضمن وفد المستضعفين.. وهُناك.. ارتَدّ زوجها عن الإسلام وتَنَصّر.. وحاول معها مرارًا كي تَتبعه.. لكن الجذور قوية.. فلم يستطع الأب من قبل انتزاعها.. فَصَبَرَت على دين الله وثبتت عليه.. لكن ازدادت غُربتها.. فهي لا تعلم إلى أين مصيرها.. أتبقى في الحبشة غريبة بلا زوج.. أم تعود إلى مكة.. وأبوها كان مُشركاً حتى تلك اللحظة..

وفي خِضَمّ عواصف التفكير هذه.. جاءَت البشرى.. يا أُم حبيبة.. رسول الله ﷺ يخطِبُكِ.. انخلع قلبها من مكانه.. وَطار مُحَلّقًا عند الثريا.. ثم عاد ليشهد امتزاج دموعها مع البسمة التي ارتسمت على مُحياها في تلك اللحظة.. فَحَمَدَت ربها طويلاً..

أرسل النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة يوكّله ليُزوجه من أم حبيبة.. وأرسلها النجاشي مع شرحبيل بن حسنة ﵁ بعد أن جهزها بجهازها إلى أعظم زوج عرفه التاريخ..

ماذا ستتذكّر -أيها الغالي- عندما تقف مكان بيت أمّك أم حبيبة ﵂؟؟ أتضحيتها.. وفراق الأهل والبلاد؟ أم صبرها على الغربة بعد زوجها؟ أم إيثارها الحق على الباطل.. حتى ولو كان الأب والزوج والأهل يُعارضون؟ أم حُبها لرسول الله ﷺ الذي جاوز كُلّ الحدود[٤١]؟

---

(٤١) وَصَلَ أبو سفيان إلى المدينة، فذهب إلى ابنته أم حبيبة، وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ فقالت بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس. فقال والله لقد أصابك بعدي شر..(صحابيات حول الرسول صفحة ٢٢١).

أم أنكَ ستتذَكّر حرصها على التحلل من كُلّ الحقوق الدنيوية.. حتى تلقى الله بيضاء نقية.. تطبيقًا لأمر حبيبها وحبيبنا ﷺ: (**من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل أُخِذَ من سيئات صاحبه فَجُعِلَت عليه**)[٤٢] ففي لحظات أم حبيبة الأخيرة.. أرسَلَت إلى عائشة رضي الله عنها وقالت لها: قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر.. فَغَفَرَ الله لي ولَكِ ما كان من ذلك.. فقالت عائشة الكريمة: غَفَرَ اللهُ لك ذلكَ كُلّه وتجاوزه.. وحَلّلتُكِ من ذلكَ كُلّه[٤٣].. وأرسلت إلى أُم سلمة كذلك..

رحم الله أم حبيبة.. وأسكننا وإياها في جنته.. إنه هو البر الرحيم.

بيت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

على يمينكَ أيضًا.. وبعد بيت "أُم حبيبة" هناك بيت أُمك ميمونة بنت الحارث.. تلك الدّرة المكنونة.. التي دَخلت البيت النبوي الطاهر أُمًا للمؤمنين بعدَ عُمرة القضاء[٤٤].. وبنى بها الحبيب ﷺ في "سَرِف[٤٥]".. فكانت آخر لؤلؤة نُظِمَت في عِقدِ زوجاتِه ﷺ.. فَخُتمنَ بها.. وكان ختامهنّ مسك أَذفر .

---

(٤٢) رواه البخاري، وهو في السلسلة الصحيحة رقم ٢٣٦٥.

(٤٣) صحابيات حول الرسول صفحة ٢٢١.

(٤٤) سُميت عمرة القضاء لأنها كانت قضاءً عن عمرة الحديبية التي لم تتم، أو لأنها تمت بناءً على المقاضاة أو المصالحة التي كانت في الحديبية.

(٤٥) موضع يبعد عن مكة ١٠ أميال، وقد توفيت في ذلك الموضع ودُفنت فيه، وقبرها موجود حتى الآن.

ميمونة بنت الحارث.. اسم عُرف بحُبّه للمعالي وللشرف الرفيع.. فما أن سَمِعَت أن رسول الله في مكة يطوف بالبيت مُعتمراً عُمرة القضاء.. حتى استولت عليها فكرة أن تنال شرف الزواج منه.. كيف لا وهو أكرم الخلق.. وأشرف من دَبّ على وجه الأرض، ومن تنالُ ذلكَ الشرف فقد نالت الخير كُله.

هَمَسَت ميمونة بما مرّ على قلبها من خواطر لأختها المؤمنة الصادقة أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب.. فَحَدّثت بذلكَ زوجَها.. الذي بدوره أرسل الرسالة إلى الحبيب ﷺ وأخبره بأُمنية ميمونة.. فأرسل الحبيب ﷺ ابن عَمَّهُ جعفر ليخطبها.. فطارت فرحًا.. لقد تحققت أمنيتها.. ونالت شرف أن تكون من أمهات المؤمنين.. بل إن الله تعالى خَلّد ذلك الموقف الكريم من الكريمة في قُرآنه الكريم، ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾{الأحزاب ٥٠}(٤٦).

ماذا ستتذكّر عند وقوفك مكان بيت أمكَ ميمونة؟ أتتذكر حُبها للنبي ﷺ وحرصها على رضاه(٤٧)؟ أم تتذكر شهادته ﷺ لها بالإيمان(٤٨)؟

أم أنك ستتذكّر حرصها على إقامة حُدود الله جل وعلا والوقوف في وجه

---

(٤٦) راجع تفسير سورة الأحزاب ٥٠ عند ابن كثير أو القرطبي.

(٤٧) عندما اشتكى ﷺ في مرضه الذي مات فيه كان في بيتها.. ولكنه رَغِبَ أن يُمَرّض في بيت عائشة ﵂.. فوافقت ميمونة استجابة لرغبته ﷺ ، رغم أنها كانت تُحب أن يكون في بيتها.. فتنال شرف خدمته وتمريضه ﷺ.

(٤٨) قال ﷺ: **(الأخوات الأربع؛ ميمونة وأم الفضل وسلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن مؤمنات)** انظر حديث رقم: ٢٧٦٣ في صحيح الجامع.

من يتعداها.. أيًا كان.. فلا مُحاباة في تطبيق شرع الله[٤٩].. ذلكَ لأنها تعلم علم اليقين أن الحياة الطاهرة النقية النظيفة لا تكون إلا في شرع الله تعالى وأحكامه.

رحم الله أمّنا ميمونة.. وحَشَرنا معها في جنة الخلد.. آمين يا رب العالمين..

ما أعظم زوجات الحبيب.. وما أكرمهن.. وما أَعظم خصالهن.. وما أعذب صفاتهن وأخلاقهنّ، يكفي أنهن تَرَبَّينَ في بيت النبوة، في جوار الوحي، فتأَدَّبنَ بآداب الحبيب.. وتَخَلَّقنَ بأخلاقه.. وَسِرنَ على الدرب القويم.. فصِرن من أهل النعيم المقيم.. في الدنيا والآخرة.. لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ..

نساء النبي ﷺ.. لم تكن بيوتهن من الحجر كبيوت الملوك والأكاسرة والقياصرة، فأصحابها ترفعوا عن الدنيا وزخارفها، وابتغوا الدار الآخرة، فقد كانت كمسجده مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة، وكانت سقوفها من جذوع النخل والجريد، وكانت صغيرة الفناء قصيرة البناء ينالها الغلام الفارع بيده، قال الحسن البصري- وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أم سلمة-: «قد كنت أنالُ أول سقف في حُجَرِ النبي ﷺ بيدي»[٥٠].. كانت بيوته ﷺ في غاية البساطة.. بينما كانت المدينة تشتهر بالحصون العالية التي كان يتخذها عِلْيَةُ القوم تباهيًا بها في السِّلْمِ واتقاءً بها في الحرب.. بناها بذلك الشكل المتواضع، وكان باستطاعته أن يبني لنفسه قصورًا شاهقة، ولو أنه أشار إلى

---

(٤٩) دخل على ميمونة زوج النبي ﷺ قرابة لها، فوجدت منه ريح شراب -يعني خمر- فقالت له: **(لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك لا تدخل عليّ مرة أخرى)** أخرجه ابن سعد، صحابيات حول الرسول ٢٥٠.

(٥٠) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة، (٣٦/٢)، نقلاً عن السيرة للصلابي ١-٤٥٩.

رغبته بذلك- مجرد إشارة- لسارع الأنصار في بنائها له، كما كان بإمكانه أن يشيدها من أموال الدولة العامة كالفيء ونحوه، ولكنه ﷺ لم يفعل ذلك ليضرب لأمته مثلاً رفيعاً وقدوة عالية في التواضع والزهد في الدنيا، وجمع الهمة والعزيمة للعمل لِمَا بعد الموت[٥١].

المنبر النبوي الشريف

من أهم معالم المسجد النبوي.. "**المنبر النبوي**".. إذا رأيته طار فِكْرُكَ بعيدًا لِيَحُطّ رحالَهُ في السنوات الأولى من الهجرة.. حيث بُني المسجد النبوي.. وكان في بدايتِهِ جذعُ نخلٍ يستند إليه الحبيب ﷺ عندما يخطب الناس..

وبين المحراب والمنبر كان يَشْمَخُ ذلكَ الجذعُ ويُباهي الجوزاء.. ذلكَ لأن أقدام أشرف خَلْقِ الله تقف بجانبه.. ويده تلمسه.. وجسمه يستند إليه..

وفي السنة التاسعة -أو السابعة- من الهجرة أرسل الحبيب ﷺ إلى امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار يقول لها: (**انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادًا أُكَلّم الناس عليها**)؛ فعمل له منبرًا له ثلاث درجاتٍ.. ثم أمر به فوضع في مكانه الحالي.. الدائم[٥٢]..

فماذا ستتذكّر عند وقوفك أمام منبر حبيبك؟؟ أتتذكّر حنين الجذع إليه.. وتُقارنه بحنينكَ إلى رؤيته ﷺ ؟ فلما تحوّل النبي ﷺ بخطبته عن الجذع

---

(٥١) التاريخ الإسلامي للحميدي، (١٣/٤) نقلاً عن المصدر السابق.

(٥٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة.

إلى المنبر حنَّ الجذع إلى النبي ﷺ مثل حنين الناقة التي فقدت ابنها، وارتفع حنينه.. حتى سمعه الصحابة ، فوضع رسول الله (ﷺ) يده عليه فَسَكَن، وقال الحبيب ﷺ: **(لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة)**[٥٣]..

أيبكي الجذعُ ويَحِنّ لأنَّ يَد الحبيب ﷺ فارقته.. ونحن لا نبكي لأننا فارقنا سُنته.. فارقنا هديه.. فارقنا خُلُقه.. فارقنا صفاته.. فارقنا آدابه؟؟ والله نحن أحقّ بالبكاء من الجذع!!! الجمادات تحنّ شوقًا إليه.. قال الحسن البصري رحمه الله: "يا معشر المسلمين.. الخشبة تَحِنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه.. فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إليه"[٥٤].

عند المنبر.. هل سنتذكر معاملة الرسول ﷺ ورحمته.. حتى للجمادات.. فقد ضَمَّ الجذع إلى صدره وحضنه والتزمه حتى سَكَنَ وسَكَت.. أي رحمة هذه؟ أي عَظَمةٍ هذه؟ وقد صَدّقَ الله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ إنها الرحمة، التي عَمّت البشر، والحجر، والشجر، حتى الحيوانات.

فَهَل يفهم أصحاب القلوب القاسية من المسلمين عِظَم هذه الرحمة.. وعِظَم هذه الرأفة.. وعِظم الخُلُق والأدب في التعامل.. حتى مع الجمادات؟ ألا نقتدي به فنكون رُحماء؟ و(**من لا يَرْحَم الناس لا يَرْحَمُه الله**)[٥٥]..

أتدري أن هذا المنبر الخشبي خَشَعَ لذكر الله تعالى.. وعندما سَمِعَ القرآن

---

(٥٣) أخرجه مسلم ، وهو حديث رقم: ٥٣٠٠ في صحيح الجامع.

(٥٤) أحكام وخصائص الحرمين ٢/٨٥٦.

(٥٥) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن، مشكاة المصابيح ٤٦٧٨.

من فَمِ الحبيب.. نعم.. ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾{الحشر ٢١}.. فقد أخرج ابن ماجة عن عبد اللهِ بن عُمَرَ ﷺ أن رسول الله ﷺ وَقَفَ على المنبر وقال: (**يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده - وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها- ثم يقول: أنا الجبار، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**)... حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ [٥٦]. فَهَل نخشع لذكره كما خَشَعَ الجماد؟ يا ليتنا نخشع!!

هل ستتذكّر وتتخيل الحبيب ﷺ وهو يقف أمامك يخطب في الناس؟؟ فعلى هذا المنبر خطب الناس وقال: (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**) فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم وَلَهُمْ خنين[٥٧].. وعلى هذا المنبر خطب الناس وقال: (**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**)[٥٨].. وعلى هذا المنبر خطب رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه.. وقال: (**إن الدرهم يُصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم**)[٥٩]. فهل نقول: لبيك يا رسول الله وسعديك؟؟

---

(٥٦) أخرجه ابن ماجة، السلسلة الصحيحة (٣١٩٦).

(٥٧) متفق حديث، مشكاة المصابيح ١٤٨٣.

(٥٨) صحيح الترغيب والترهيب ٣٠٠٤.

(٥٩) صحيح الترغيب والترهيب ١٨٥٦.

هل ستتذكر أن الحبيب ﷺ عَلَّمَ الناس الصلاة فوق المنبر؟ فقد صَلّى فوق المنبر ليُعَلّمهم[٦٠].. فَهَل نُعَلّم الناس ما عَلَّمه الله لنا من أحكام دين الله تعالى وسُنَّة نبيه .. وهو القائل لنا: **(بلغوا عني ولو آية)**[٦١]..

هل ستتذكّر أن الله سيُعيد المنبر الأصلي.. تلك الخشبات.. شاهدة يوم القيامة[٦٢]؟.. نعم.. ستُنصب عند حوض المصطفى ﷺ..

هل ستتذكّر أن الحلف كِذِباً عند هذا المنبر ليس كأي حلف.. وإنما جزاؤه النار[٦٣]؟

هنا وقف الحبيب يخطب.. هنا أعطى الناس أحكام الدين وشرائعه.. هنا أعطى الجيوش تعليمات الحروب.. هنا.. وهنا.. وهنا.. إنه حبيبك ﷺ.. فليكن قُدوتك.. كما أمر الله..

---

(٦٠) الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة.

(٦١) رواه البخاري وغيره، مشكاة المصابيح ١٩٨.

(٦٢) قال النبي ﷺ: **(قوائم منبري رواتب في الجنة)** السلسلة الصحيحة ٢٠٥٠، وهذا يعني أن هذا المنبر بذاته يعيده الله يوم القيامة على حاله فينصبه عند حوضه ﷺ كما يعيد الله تعالى الخلائق يوم البعث، ففي الحديث الذي أخرجه الشيخان: **(ومنبري على حوضي)**. "المنبر النبوي روضة من الجنة" من موقع إسلام أون لاين، أحكام وخصائص الحرمين ٨٥١/٢.

(٦٣) قال رسول الله ﷺ: **(لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار، أو وجبت له النار)** صحيح الجامع رقم: ٧٦٣٨.

المحراب النبوي الشريف

لو نَظَرتَ إلى يسارك -وأنت تقف أمام المنبر- لوجدتَ المحراب النبوي.. أو مكان المحراب النبوي[٦٤].. المحراب النبوي؟؟ نعم.. فهُنا كان حبيبك ﷺ يُصلي بالناس إمامًا.. وقفت أقدامه هُنا.. نزلت دمعاته هنا.. تعطرت ذرات الـهـواء بصـوت تلاوتـه.. طابت أرجاء المكـان بطيب نَفَسه.. رَقّت القلوب بخشوعه وبُكـائه ﷺ..

فماذا عساكَ أن تتذكّر عند وقوفكَ أمام محراب رسول الله ﷺ ؟ ماذا ستقول له في هذه اللحظات؟ هل ستقول له: يا حبيبي يا رسول الله.. أنت إمامنا.. كُنتَ وما زلتَ.. أنت قُدوتنا.. كُنتَ وما زلتَ.. ولن أتزحزح قيد أُنملة عن سُنتكَ.. وعن هديِكَ..

هل ستقول له: يا سيدي.. أتذكَّرُ دائمًا نداء ربنا جل وعلا لي ولجميع المسلمين: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾{ الأنفال ٢٠}.. وأتذكّر دائماً نداءكَ لي وللمسلمين: (**عليكم بكتاب الله.. أحلوا حلاله وحرموا حرامه**)[٦٥].. فسأستمر على طاعتك ما حييت.. وما استطعت.. ماذا تتذكر عند المحراب النبوي؟ فَكّر بعمق.. ستجد الكثير مما ينبغي لنـا أن نتذكَّره؛ ونأخـذ منـه العبر... فهُنا -عـلى سبيل المثال- كـان

---

(٦٤) ذَلكَ أنه لم يكن زمنه ﷺ ولا الخلفاء محرابًا مُجوفاً.. وإنما كان جدارًا.. وصُنع المحراب المجوف في عمارة الوليد بن عبد الملك على يد عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز عام ٨٨-٩١هـ/ ٧٠٧-٧١٠م.

(٦٥) رواه الطبراني في الكبير، صحيح الترغيب والترهيب ٤٢.

يُخفف الصلاة لأجل بكاء صبي[٦٦].. أما ينبغي لنا أن نرحم الناس؟

الروضة الشريفة

وأنت تقف أمام المحراب.. انظر تحت قدميك.. إنه مكان مميز بسجاد لونه أخضر.. أتدري لماذا؟ هذه هي الروضة الشريفة.. إنها من أرض الجنة.. نعم.. روضة من رياض الجنة.. قال ﷺ: **(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)**[٦٧].. وقال ﷺ: **(منبري على ترعة من ترع الجنة)** والترعة، هي الروضة أو الباب أو الدرجة[٦٨].. وليس في الأرض بُقعة من الجنة سواها..

الروضة.. مساحتها (٣٣٠) مترًا مُربعًا[٦٩].. لكنها عَمّت العالم كُلّه بالخير والبركات.. والأجور والحسنات.. والثواب والدرجات.. كيف لا والناس يتزاحمون عليها من شتى بقاع العالم.. انظر إليهم.. الأبيض والأحمر والأسود.. كلهم يتسابقون إلى الصلاة فيها والاعتكاف.. فالصلاة في المسجد النبوي على العموم مضاعفة بألف صلاة فيما سواه غير أنّها في الروضة الشريفة لها معنى وفضل زائد على ذلك، ذلكَ لأنها قطعة من الجنة..

---

(٦٦) أخرجه أحمد وغيره، انظر حديث رقم: ١٨٩٧ في صحيح الجامع.

(٦٧) متفق عليه، مشكاة المصابيح ٦٩٤.

(٦٨) السلسلة الصحيحة ٣٣٦٣. والحجر الأسود من الجنة كما ثبت عنه ﷺ في صحيح الجامع: **(الحجر الأسود من حجارة الجنة)**، وكذلك ثبت فيه أن **(بطحان على بركة من برك الجنة)** وأن النيل والفرات من أنهار الجنة. لكن لم يثبت أن قطعة أرض من رياض الجنة سوى الروضة الشريفة.

(٦٩) مدارج السالكين، صفحة ٣٨.

أساطين الروضة الشريفة

"أساطين" جمع أسطوانة، وتعني الأعمدة.. تلك الأعمدة التي حَمَلَت جُدران المسجد النبوي وسقفه كانت من جذوع النخل.. لكن لأن للحبيب عندها ذكريات فقد خُلّدَت على مدى الأزمان.. لتُذَكِّرُنا به ﷺ.. هكذا أراد الله.. أن تبقى شامخة عزيزة يهتم بها الخلفاء والأمراء.. لأنها شَهِدَتْهُ ﷺ..

اسطوانة السرير(٧٠).. هُنا كان حبيبك ﷺ ينام.. كان يوضع له سرير من جريد النخل.. وهُنا كان يعتكف..

اسطوانة الحَرَس(٧١).. هُنا كان عَليّ و سعد بن أبي وقاص يقفوا لحراسة الحبيب ﷺ حتى أنزل الله تعالى قوله: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾{المائدة ٦٧} فقال لهم: (**يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله**)(٧٢).

اسطوانة الوفود(٧٣).. هُنا كان حبيبك ﷺ يستقبل الوُفود والزّوار.. فَهنا كان يجلس.. وهُنا كان يُسأل ويُجيب.. وهُنا كانت الوُفود تُسلم.. وتشهد بالحقّ..

الاسطوانة المُخَلَّقة(٧٤).. في مكان هذه الاسطوانة كان يشمخ الجذعُ الـذي

---

(٧٠) أول اسطوانة على يسارك وأنت تقف أمام المحراب متوجهًا نحو القبلة، ومكتوب عليها (هذه اسطوانة السرير).

(٧١) التالية بعد أسطوانة السرير نحو الشمال، ومكتوب عليها (هذه اسطوانة الحرس).

(٧٢) أخرجه الترمذي، وهي في السلسلة الصحيحة رقم ٢٤٨٩.

(٧٣) التالية بعد أسطوانة الحرس نحو الشمال، ومكتوب عليها (هذه اسطوانة الوفود).

(٧٤) ملاصقة للمحراب النبوي، ومكتوب عليها (هذه الاسطوانة المخَلّقة).

حَنّ لرسول الله ﷺ.. وَسُمّيت بالمُخَلّقة (يعني المطيبة أو المعطرة) لأن رسول الله كان يخطب يومًا، فرأى نخامة في قبلة المسجد، فَتَغَيَّظ (تضايق)، ثُمَّ حَكَّها، ثم دعا بزعفران فلطّخَه به، وقال: (**إن الله عز وجل قِبَلَ وجه أحدِكُم إذا صلى، فلا يبصق بين يديه**)[٧٥].. وقيل: عائشة هي التي طَيّبتها.. وقيل: عاتكة.. وقيل : إنها كانت تُطيّب لأنها عَلَم على مُصَلاه ﷺ، وأن أول من طَيّبها الخيزران زوجة هارون الرشيد[٧٦].

أسطوانة التوبة: وتسمى أيضًا أسطوانة أبي لبابة[٧٧] سُمّيت بذلكَ لأن أبا لُبابة ﷺ هفا هفوة، ورَبط نفسه بها.. وقال: "والله لا يحلّني إلا رسول الله ﷺ بيده".. وبقي على حاله حتى نزلت توبته من الله تعالى..

وهي التي أَسَر النبي ﷺ فيها ثُمَامَةَ بن أثال سَيِّدُ اليمامة حين جاء به الصحابة ﷺ أسيرًا؛ فأكرمه النبي ﷺ ، وكان يبعث إليه كل يوم بلبن عِدّة شياه

---

(٧٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود بألفاظ متقاربة.

(٧٦) انظر للاستزادة: مرشد السالكين صفحة ٣٩.

(٧٧) على يسار المحراب النبوي، ومكتوب عليها (هذه اسطوانة أبي لبابة وتُعرف بالتوبة)، فعندما حاصر اليهود بني قريظة بعد غدرهم بعهده، طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث إليهم أبا لبابة ﷺ؛ لأنه كان حليفًا لهم قبل الإسلام لكي يتفاوض معهم، فلما جاء إليهم حاولوا استغلال عاطفته فقالوا له: أننزل على حكم محمد؟ فقال لهم: إن نزلتم على حكم محمد (وأشار بيده إلى حلقه) يعني سوف يذبحكم. فقال أبو لبابة ﷺ: "فوالله ما تحركت قدماي حتى علمتُ أني خُنْت الله ورسوله"، فلم يعد إلى الرسول ﷺ، بل ذهب مسرعًا إلى المسجد النبوي وربط نفسه في هذه الأسطوانة. فأنزل الله توبته على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة (رضي الله عنها)، قالت أم سلمة: لقد سمعت رسول الله ﷺ في السَّحَر يضحك، فقلت: مم تضحك يا رسول الله، أضحك الله سنك؟ قال: "تيب على أبي لبابة". فقامت أم سلمة وقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك، فلما مرَّ عليه الرسول ﷺ صلاة الفجر أطلقه من الأسر..

فيشربه كله[٧٨].

أسطوانة عائشة[٧٩].. هُنا كان الحبيب يتحَرّى الصلاة.. بل كان يُصلي بالناس عندها لمدة ثلاثة عشر يومًا بعد تحويل القبلة.. ثم انتقل إلى مكان محرابه الحالي.. ويُقال أنه يُستجاب عندها الدعاء.. وتُسمى (اسطوانة القُرعة)..

بيت أبي بكر الصديق وخوخته

قف -من فضلك- أمام "باب السلام" ووجهك إلى داخل المسجد.. امشِ قليلاً إلى يسارك تجد باباً مكتوبٌ عليه "**باب الصديق**".. هنا يجب أن تتوقف.. هنا يجب أن تتفكر.. هنا يجب أن تتذكر..

أدخل قليلاً.. تمعّن في هذا المستطيل ذو الإطار البُنّي المصنوع من أجود أنواع الرخام.. إنه بيت أبي بكر الصديق ﷺ.. حبيبك وصاحب حبيبك.. رفيق رسول الله ﷺ في صباه وشيخوخته.. في تضحيته ومعاناته.. في دعوته وهجرته.. حتى أنـه قال ﷺ: (**إن أمَنّ النّاس عَلَيَّ في مالِه وصُحبته: أبو بكر،**

---

(٧٨) كان ثمامة ﷺ أسره الصحابة، وربطوه في السارية، وكان في أَسره يراقب تصرفات المسلمين وأفعالهم؛ فرأى من التقوى والمحبة والتعاطف والتواضع وكثرة العبادة ما لم يرَ في حياته، فدخل في قلبه حب الإسلام، وأُعجب بأهله وأضمر في نفسه الدخول في الإسلام، ولكن أنفة الزعامة والعزة جعلته يؤخر إسلامه إلى نهاية أسره، وكان إذا قال الرسول ﷺ: "أسْلم يا ثمامة". يرد عليه بقوله: يا محمد إن تنعم عليَّ تنعمْ على شاكر، وإن تقتلني تقتل ذا دم. وفي اليوم الثالث أمر النبي ﷺ بإطلاق ثمامة من أسره، وقال له: اذهب حيث شئت. فذهب ثمامة واغتسل وفاجأ المسلمين بإعلان إسلامه.

(٧٩) على يمين الاسطوانة المخلّقة، ومكتوب عليها (هذه اسطوانة عائشة)..

ولو كنت متخذا خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوة الإسلام)[٨٠].

أبو بكر.. الصّديق الأكبر.. الأسبق إلى الإيمان بمحمد ﷺ.. أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.. ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾{التوبة ٤٠}.. شيخ الصحابة وخيرهم.. كان ينام هنا.. كان يقوم الليل هُنا.. فيا لها من كرامة.. يا له من شرف عظيم.. أن تقف في مكان بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه..

الآن.. ادخل من فضلك إلى المسجد.. امشِ نحو مترين.. ثم انظر خلفك.. ارفع رأسك قليلاً.. لترى حجرًا منقوشًا عليه بخط الثُّلُث المزخرف الرائع: (**هذه خَوخة سيدنا أبي بكر الصديق** رضي الله عنه).. نعم.. إنها خوخته.. تلك النافذة الصغيرة التي كانت تُطِلّ على مسجد الرسول ﷺ.. التي أمر الحبيب ﷺ أن تُسَدّ كُلّ خوخة سواها.. وستبقى ولن تسَدّ.. لأن النبي ﷺ هو الذي أمر بذلك..

ماذا ستتذكر -أيها الغالي- هناك.. عند خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؟؟ هل ستتذكر شعاراً طالما سارت الأمة عليه.. ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾{النساء ٨٠} فتتخذه شعارًا؟؟

أم أنك ستتذكر أن أمر رسول الله ﷺ يجب أن يُطاع فلا يُعارض.. لتبحث عن أوامره فَتُطَبّقها؟؟ لتكون سنته هي كُل حياتك.. ويكون هديه سبيلك حتى مماتك؟؟

هل ستتذكر أن الصدّيق رضي الله عنه كانَ يَسُوسُ الأمّة كُلّها من هذا البيت؟ فتعرف حق المعرفة أن السائس إذا سار في طريق الترف.. هَلَكَ وضاع وانحرف؟

---

(٨٠) حديث رقم: ٢٠٠٧ في صحيح الجامع.

أم أننا سنتذكر أو نتعلّم أنَّ من يخدم دين الإسلام ويُضحي من أجله تبقى ذكراه خالدة.. لن يمحوها الزمن؟؟..وكما قال القائل:

ارفع لنفسكَ قبل موتكَ ذكرها *** فالذّكرُ للإنسانِ عُمرٌ ثاني

رحم الله أبا بكر.. رضي الله عنك أيها الصدّيق.. يا رب.. لا تحرمنا رؤيته.. ولا تحرمنا صُحبته.. ولا تحرمنا مجلسه.. عندك في الفردوس الأعلى يا أرحم الراحمين..

باب الرّحمة

قف في الجهة الغربية من الحرم النبوي.. انظر جيدًا.. هُناك بابٌ مكتوب عليه "باب الرحمة".. يقع بعد باب الصّديق شمالاً.. إنه باب عريق عظيم.. لماذا سُمّي "باب الرحمة" بهذا الاسم؟ جاء في صحيح البخاري أن رجلاً دخل المسجد من هذا الباب، والرسول ﷺ يخطب يوم الجمعة، وطَلَبَ منه الدعاء والاستسقاء.. لنزول المطر.. فدعا الله وهو على المنبر.. فأمطرت السماء سبعة أيام ، ثم دخل في الجمعة الثانية طالباً رفع المطر خشية الغرق.. فقال ﷺ وهو على المنبر: (**اللهم حوالينا ولا علينا**).. فانقشعت السحب وتفرقت هُنا وهُناك[٨١]، حتى ارتوت الأرض المحيطة، واعتبر هذا رحمة بالعباد ، فأطلق عليه "باب الرحمة" ، كما سُمي "باب النبي" لأنه ﷺ كان يدخل منه.

---

(٨١) الحديث متفق عليه، انظر مشكاة المصابيح ٥٩٠٢.

فهَل ستتذكّر أن تدعو الله تعالى أن يرحم المسلمين.. وأن يكشف ما بهم من الجدب والقحط.. الديني.. والاجتماعي.. والأخلاقي.. والاقتصادي..

اللّٰهُمَّ ارحمنا برحمة من عندك تغنينا بها عن رحمة من سواك.. اللّٰهُمَّ رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنْفُسِنا طَرْفَةَ عين وأصلح لنا شأننا كله لا إِلَهَ إلا أنت.

باب جبريل

هو باب من جهة الشرق، وعرف بباب عثمان لوجوده مقابل بيته. وأطلق عليه "باب جبريل" لأن الرسول ﷺ ، التقى بجبريل عليه السلام في هذا المكان في غزوة بني قريظة، بعد عودة النبي من الخندق ووضعه السلاح أمر الله تعالى نبيه بقتال بني قريظة، فجاء إليه جبريل عليه السلام وقال: "ما وضعت الملائكة السلاح بعد . . إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة فإني عامدٌ إليهم فمزلزل بهم" فأمر الحبيب ﷺ أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، وأوصاهم بأن: **(لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)**[٨٢].

ماذا ستتذَكّر عندما تقف أمامه؟ أَظُنّك ستتذَكّر قول الله تعالى في الحديث القُدسي: **(من عادى لي وليًا فقد آذنتُهُ بالحرب)**[٨٣].. وأن من عادى الإسلام والمسلمين لا بُدّ من تأديبه.. آجلاً أم عاجلاً؟..

---

(٨٢) أخرجه البخاري رقم ٤١١٩. عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ ص٤٨-٤٩، نقلاً عن موقع الأمانة العامة لشؤون المسجد النبوي.

(٨٣) الحديث رواه البخاري، انظر مشكاة المصابيح ٢٢٦٦.

أم أنّكَ ستتذَكّر أن لله تعالى ملائكة عِظامًا شِدادًا يُؤيّدُ بهم كل من نَصَرَ دينه.. بل إنّهُم لا يضعون أسلحتهم حتى يَتَحَتّم النصر للإسلام والمسلمين؟..

أم أنك ستتذَكّر أن بيت عُثمان بن عفان الحيي.. الذي تستحي منه الملائكة لحيائه.. كان قريبًا من هُنا.. فتتيقّن أنَّ الحياء خُلُق الإسلام.. ويجب على كُل مُسلم التَّخَلُّق به؟.. رضي الله عن عُثمان..

دكة الأغوات

تمّ تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بأمر الله تعالى، وذلك بعد ستة عشر شهراً من هجرته ﷺ إلى المدينة، وبقي حائط القبلة الأولى في مؤخر المسجد النبوي، فأمر النبي ﷺ به فَظُلّل أو سُقِفَ، وأُطلق عليه اسم الصُّفة أو الظلة، ولم يكن له ما يستر جوانبه.

قال ابن حجر : "الصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل" اهـ. وأهْلُ الصَّفَّة هم فقراء المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم تكن لهم منازل يسكنونها، فكانوا يأوون إلى هذا المكان المظلّل في المسجد النبوي..

الآن.. وعِند الواجهة الشمالية للمقصورة الشريفة.. أنوارٌ تتلألأ.. وعَبير يشرح الصُّدور.. فهُنا -أو قريبًا منه- كان مكان أهل الصُّفة.. فماذا ستَتَذَكّر عندما تقف أمامه؟ هل ستتذَكّر أن دين الإسلام العظيم قام على أكتاف

هؤلاء الفقراء.. فَتَعلم علم اليقين أن الفقر ليس عُذرًا للتَخَلُّف عن خِدمة دين الله تعالى.. ولا عن الدعوة إليه.. ولا عن الجهاد في سبيله.. وحُذيفة بن اليمان وزيد بن الخطاب وعبد الله ذو البجادين يشهدون؟.. والفقرُ ليس عُذرًا في ترك تَعَلُّم أحكام الدّين.. وأبو هُريرة ﷺ شاهدًا..

أم ستتذَكّر أحوالهم، وتُقارن بينه وبين حال المسلمين اليوم، استمع إلى أبي هريرة ﷺ وهو يقول : (لقد رأيت سبعين من أهل الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته) [٨٤].. لكنهم كانوا فرسانًا بالنهار.. رهبانًا بالليل..

ما كان معهم مال.. لكنهم سادوا الأمم.. ما كان لهم مأوى.. لكنهم نصروا الإسلام وأعزه الله بهم.. ما كان لهم ما يلبسون سوى ما يستر عوراتهم.. لكنهم تعلموا العلم وعلّموه غيرهم.. وحفظوا القرآن وأقرأوه غيرهم.. وجاهدوا في سبيل الله لينصروا الدين؛ فَخَلّد الله تعالى ذكرهم ورفع قَدرهم في الدنيا[٨٥] والآخرة.. فَبَقِيَ مكانهم شامخًا عزيزًا.. ليُذَكّرنا بهم..

أم أنك ستتذَكّر عَظمة الرسول ﷺ ورحمته؟ بتقديمه الفقراء حتى على أهل بيته؟ فقد أُتى بسبي مَرَّة، فأتته فاطمة رضي الله عنها تسأله خادماً ، فكان

---

(٨٤) أخرجه البخاري موقوفًا، مشكاة المصابيح ٥٢٤١.

(٨٥) يقول أبو هريرة ﷺ: "لقد رأيت معي في الصفة ما يزيد على ثلاثمائة، ثم رأيت بعد ذلك كل واحد منهم والياً أو أميراً"..

جوابه: (**والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**)[٨٦].. ما أعظمك يا سيدي يا رسول الله!!!

ملاحظة: الأَغَوات جمع آغا، وهي كلمة تركية بمعنى السّيد.

البقيع

بعد أن تُسَلّم على الحبيب وصاحبيه.. اخرج مباشرة من "باب البقيع".. إنـه الباب الذي يُقابلكَ تمامًا.. وعلى بُعد بضع عَشَراتٍ من الأمتار تَـجد البقيع.. أو ما كان يُعرف ببقيع الغرقد[٨٧].

إنها مقبرة أهل المدينة.. إذا اقتربت منها يَهْتَزُّ البَدَن.. وترتعد الأطراف.. وتَقشَعِرّ الجلود.. وتزداد نبضات القلب.. شوقًا إلى الحبيب وآلِهِ وصحبه.. فكم نشتاق إلى رؤيتهم؟! وكم نَوَدّ لو نراهم بكُلّ ما نملك[٨٨] لنكون من المؤمنين حقًا.. فهنا سَتَتَذَكّرهم.. هُنا سوف تعود بك الذكريات.. إلى الحبيب وصحبه.. فنترضّى عنهم.. ونأخذ العبر من حياتهم.. فهُنا تحلو الذكريات.. وهُنا تُسكب العبرات.. وهُنا نطوف بأرواحنا معهم.. نعم.. فالأرواح المحبة المتآلفة تتعارف..

---

(٨٦) أخرجه أحمد، انظر الترغيب والترهيب ٩٨٤.

(٨٧) سُمّيت بذلك لأنها كانت مليئة بشجر اسمه الغرقد وهو ذو شوك، أما الآن فلم يعد بها.

(٨٨) قال ﷺ: (**إن من أشد أمتي لي حبا ناسا يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**) رواه مسلم.

رسول الله ﷺ يشفع لأهل البقيع.. ولمن مات بالمدينة.. هنيئًا لمن مات بها.. هنيئًا لمن دُفِنَ هُناك.. في البقيع.. وما أدراكم ما البقيع.. مثوى خير الناس.. أصحاب رسول الله ﷺ.. أكثر من عشرة آلاف صحابي دُفِنوا هُنا.. في البقيع.. يكفيهم شَرَفًا أنهم جاوروا رسول الله ﷺ في حياته.. وجاوروه بعد مماته ومماتهم.. نالوا أعظم كرامة.. وأشرف منزلة.. وأكبر جائزة.. **(من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشهد** (وفي رواية : **أشفع**) **لمن مات بها)**[٨٩].. إنها شَفاعةٌ مُتَقَبّلة.. أنها شهادة صادقة.. في يوم لا نصير فيه ولا شفيع..

في البقيع.. تتذَكّر أمهات المؤمنين.. زوجات الرسول ﷺ.. تتذَكّر بناته رُقَيّة وزينب وأم كُلثوم.. تتذَكّر فاطمة والحسن والعباس.. تتذِكّر عثمان بن عفان.. وما أدراك ما عُثمان.. تتذِكّر عمته صفية.. وغيرهم الكثير.. الكثير..

هل ستتذكّر أن الحبيب ﷺ كان يزوره دائمًا.. ليلاً نهارًا.. فَيُستحب زيارته ولو كُلّ يوم[٩٠]؟ فتزوره أنت اقتداءً به ﷺ ، وطاعةً لأمره: **(زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة)**[٩١].

هل ستتذكّر ضمة القبر.. التي لو نجا منها لنجا سعد بن معاذ.. ورسول الله ﷺ عندما دَفَنَ سعدًا وَوَضَعَهُ في قَبْرِهِ، تَغَيَّرَ وَجْهُهُ.. وَسَبَّحَ ثلاثًا..

---

(٨٩) أخرجه أحمد وغيره، انظر حديث رقم: ٦٠١٥ في صحيح الجامع.

(٩٠) المجموع للنووي، نقلا عن أحكام وخصائص الحرمين ٨٩٢/٢.

(٩١) رواه مسلم وغيره، واللفظ لابن ماجه، حديث رقم: ٣٥٧٧ في صحيح الجامع.

فَسَبَحَ المسلمونَ حتى ارتَجَّ البقيعُ ثم كبَّر ثلاثًا، وكبَّر المسلمون، فَسُئِلَ عن ذلك فقال: (**تضايق على صاحبكم القبر، وَضُمَّ ضَمَّة لو نجا منها أحدٌ لنجا هو، ثم فَرَّجَ الله عنه**)[٩٢].. رحماك يا ربنا..

مسجد قُباء

على بُعد ثلاثة أكيال جنوب المدينة يقع مسجد قُباء.. وما أدراك ما قُباء.. أول مسجد بُني في الإسلام.. أُسس على التقوى من أول يوم.. أَمر الحبيب ﷺ أن يُبنى.. وشارك في بنائه.. قَبلته أعدل قبلة على وجه الأرض بعد قبلة المسجد النبوي.. لأن جبريل عليه السلام أرى الحبيب ﷺ القبلة بالضبط..

ماذا ستتذكّر عندما تزور مسجد قُباء؟ هل ستتذكّر تضحية الرسول ﷺ وهجرته وبُعده عن أهله وبلده.. وما واجهه من مشقة وصُعوبات.. كُل ذلك لأجل الدين؟ ألا يكون ذلك سببًا لأن تهون عليك كُل الصعوبات في سبيل الدعوة إلى الله وخدمة دين الله..

أم أنك ستتذكّر كيف استُقْبِلَ الرسول ﷺ في قُباء بحفاوة وفرح.. فتقول في نفسكَ: إن كُنتُ لا أستطيع استقبال شخصه ﷺ فإني سوف أستقبل سُننه وهديه بِكُلّ رضا.. وسأستقبل أوامره بِالسمع والطاعة.. سوف أستقبل أحاديثه بِحفظها وتبليغهـا للناس... كما استقبله المسلمون في قُباء وفي المدينة

---

(٩٢) مسند الإمام أحمد (١٤١/٦)، نقلاً عن السيرة للصلابي.

بالحب والحفاوة والاستبشار والتصديق..

أم أنك ستتذكّر قيمة ذلك المسجد وعُلوّ شأنه وقدره؟ فصلاة فيه تعدل عمرة[٩٣].. والحبيب ﷺ كان يتعاهده كُل سبت يُصلّي فيه.. بل إن الصحابة كانوا يتعاهدونه اقتداءً بحبيبهم -وحبيبنا- ﷺ حتى قال عمر ﷺ: الحمد لله الذي قَرّبه إلينا، ولو كان مسيرة شهر لضربنا إليه أكباد الإبل[٩٤]..

ستتذكّر -أيها الغالي- عند زيارتك لقُباء مسجدًا صغيرًا كان إلى الشرق قليلاً من مسجد قباء.. سماه الله تعالى في القرآن العظيم "مسجد بناه بعض المنافقين مُضاهاة لمسجد قُباء.. ولِيُفَرّقوا الناس ويصرفوهم عن مسجد قُباء والمدينة المنورة وعن رسول الله ﷺ.. لكن الله تعالى شاء أن يُهدم المسجد ويُمحى عن وجه الأرض.. ألا يُذَكّرك هذا بقاعدةٍ إلهية.. سُنّة ربانية.. تقول: إن الباطل زاهق لا محالة.. مهما اعتدى المعتدون.. ومهما نافق المنافقون..

---

(٩٣) أخرجه أحمد وغيره، انظر حديث رقم: ٣٨٧٢ في صحيح الجامع.

(٩٤) مرشد السالكين ٥٤، والنبذة اللطيفة ١١١.

(٩٥) بناه بعض المنفقين وطلبوا من الرسول ﷺ أن يُصلّي به حتى يُضفوا عليه صبغة شرعية، لكن الله تعالى أوحى إليه: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ {التوبة ١٠٧}.. فَهدَمه وأحرقه.. وأصبح مكانه مزبلة.. ثم إنها حديثًا أُزيلت وصارت ضمن الحدائق المحيطة بالمسجد. مرشد السالكين ٥٤.

مسجد القبلتين

إنه مسجد بني حرام بن سلمة[٩٦].. مسجد صغير.. لكنه دَخَل التاريخ من أوسع أبوابه.. أتدرون لماذا؟ بسبب طاعة أمر الله تعالى.. فعندما نزل أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة[٩٧] كانت أول صلاة صَلّاها المسلمون صلاة الظهر.. وقد صَلّى معهم رجل، ثم توجه إلى ديار بني حرام فوجدهم يُصلّون العصر إلى بيت المقدس.. فصاح فيهم: أشهدُ أني قَد صَلّيتُ الظهر مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة.. فاستداروا مُباشرة إلى الكعبة وأكملوا صلاتهم.. فكانت الصلاة نصفها إلى بيت المقدس ونصفها إلى الكعبة.. فَسُمّي مسجد "ذو القبلتين"[٩٨].. وقال بعضهم أن النبي ﷺ هو الذي كان يؤم الناس في هذا المسجد وقتَ تحويل القبلة[٩٩].. لكن الرواية الأولى أَدَقّ وأصح فقد أخرجها الشيخان[١٠٠]..

لكن.. ماذا ستتذَكّر إذا ما زُرتَ مسجد القبلتين؟؟ سوف تتذَكّر أن

---

(٩٦) يبعد عن المسجد النبوي نحو أربعة أكيال..

(٩٧) في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾{البقرة ١٤٤}.

(٩٨) في الحقيقة أن كُلّ المساجد التي كانت في المدينة ذات قبلتين، بما فيها المسجد النبوي، لكن اختُصَّ هذا المسجد بهذا الاسم بسبب هذه الحادثة. مرشد السالكين ٥٥.

(٩٩) النبذة اللطيفة صفحة ١١٥.

(١٠٠) بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ؛ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنْزِلَ عليه الليلة قرآن، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة فاستَقْبِلُوها، وكانت وُجُوهُهم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة، واستدار إمامهم حتى استقبل بهم القبلة " رواه البخاري ومسلم وغيرهم بألفاظ متقاربة، انظر صفة صلاة النبي للألباني ٧٧...

الاقتداء برسول الله ﷺ واجبُ كُلّ مسلم.. بل هو طريقنا إلى رضوان الله تعالى ومغفرته ومحبته.. قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾{آل عمران ٣١}.

سوف تتذكّر أيضًا أن المسلم يجب أن يكون حريصًا جدًا على إخوانه المسلمين.. حريص على تصحيح عقيدتهم.. وعباداتهم.. وأخلاقهم.. فيجب أن يُبَلّغهم كُلّ ما يعرف؛ لأن (**مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلجَمَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ بِلِجامٍ مِنْ نَار**)[١٠١]..

كما أنه يجب أن يكون حريصًا على تصحيح عباداته.. فإذا سمع من يأمره بمعروفٍ أو ينهاه عن منكرٍ سارع إلى تطبيق أمر الله تعالى.. ولسان حاله يقول: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ..

سوف تتذَكّر أيضًا أن المسلمينَ يُصَدّق بعضهم بعضًا.. قال ﷺ: (**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله...**)[١٠٢]..

سوف تتذكّر قيمة بيت المقدس.. حيث تَوَجّهَ إليها الحبيب ﷺ في صَلاته بأمر من الله تعالى نحو ستة عشر شهرًا.. فأي شرف عظيم.. وأي مكرمة جليلة لساكني بيت المقدس!!..

---

(١٠١) رواه ابن حبان والحاكم، وقال الألباني: حسن صحيح، الترغيب والترهيب ١٢١.

(١٠٢) أخرجه الترمذي، انظر حديث رقم: ٦٧٠٦ في صحيح الجامع.

مسجد الإجابة[١٠٣]

إنه مسجد بني معاوية بن مالك من قبيلة الأوس.. تَشَرّفت تلك الديار بزيارة رسول الله ﷺ إليها.. وصَلّى في مسجدها هو ومن صاحَبَهُ.. وهُناك.. دعا ربه طويلاً.. ثم خَرَجَ إليهم وقال: (**سألتُ ربي ثلاثًا.. فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة... سألتُ ربي أن لا يُهلِكَ أُمتي بالسَّنَة فأعطانيها.. وسألته أن لا يُهْلِكَ أمتي بالغرق فأعطانيها.. وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**)[١٠٤].. فَسُمّيَ بذلكَ "مسجد الإجابة"

فماذا ستَتَذَكّر لو زُرْتَ هذا المكان؟؟ أظُنّكَ ستتذكّر حُبّ الرسول ﷺ لأمته.. ورحمته بها.. وحرصه عليها.. ألم تُلاحظ أنّ كُلّ الدعوات كانت لأمته؟ لم يدعُ لنفسه.. ولا لعائشة.. ولا لفاطمة.. بل لأمته.. ما أعظمك يا سيدي يا رسول الله.. نُشهد الله أننا نُحبّك.. ونُحب من يُحبّك.. يا رب لا تحرمنا رؤيته.. يا رب لا تحرمنا صُحبته في مقعد صدقٍ عند مليك مُقتدر..

أظُنّكَ ستتذكّر أيضًا أن من يَدْعُ الله تعالى بإخلاص وبصدق.. لن يُضيّعه.. ولن يُخيّبه.. سيستجيب الله له ولو بعد حين..

---

(١٠٣) يبعد نحو ٧٠٠ مترًا شمال شرق الحرم النبوي.

(١٠٤) أخرجه مسلم، انظر حديث رقم: ٣٥٩٣ في صحيح الجامع.

جَبَل أحـد

لا تخفى أحداثها على أحد من المسلمين.. فهي من أشهر الغزوات التي خاضها رسول الله ﷺ وصحابته.. غزوة أُحد.. فيها من العبر والعظات ما فيها.. ومن الذكريات ما يستدعي التأمّل والتّذَكُّر.. فماذا يجب أن نتذكّر عندما نشاهد سلسلة جبال أُحد السامقة.. الشامخة.. الراسية.. الثابتة.. وكأنها تُشير إلى ديانة التوحيد[١٠٥].. التي ستسودُ العالم يومًا ما.. وستقضي بإذن الله تعالى على الشرك وأهله..

جبل أُحد. جمادٍ.. لكنه يُحبّ رسول الله ﷺ.. جمادٍ.. لكن رسول الله ﷺ يُحبه[١٠٦].. جماد لكنه شَهِد للمسلمين أحداثًا عظيمةً.. وتضحيات كبيرة.. جماد.. لكنه اهتزّ طَرَبًا وفَرَحًا عندما صعد عليه الحبيب ﷺ وأبو بكر وعُمر وعثمان[١٠٧]..

ماذا ستتذَكّر وأنت ترى جبل أُحد وجبل "عَينين" جبل الرُّماة؟ ستتذكّر أن من أطاع رسول الله فقد أطاع الله.. فقد قال الله تعالى: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾{النساء ٨٠}..

وستتذكّر أن من يعصيهما فالخُذلان مصيره.. والضلال سبيله.. ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾{الأحزاب ٣٦}.. فهذا الرسول ﷺ شُجَّ

---

(١٠٥) "أُحد" مشتقّ من التوحيد، وأحُد سُمّيَ بذلك لأنه وحيد بعيد عن سلسلة الجبال، مرشد السالكين ٧١.

(١٠٦) قال رسول الله ﷺ : **(أُحُد جَبَلٌ يُحبّنا ونُحبّه)** رواه البخاري.

(١٠٧) صَعَدَ النبي ﷺ أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِه، فقال: **(اثبت احد، فإنما عليك نبيّ وصديق وشهيدان)** رواه البخاري.

رأسُهُ.. وكُسرت رباعيته.. وسالَ دَمُهُ.. وحمزة ﷺ فَقَدَ روحه مع نحو سبعين من المسلمين.. كُلّ ذلك بسبب مخالفة واحدة لأمر رسول الله ﷺ.. فما ظَنُّك بأُمة تَنَكّبت سُنة نبيها.. وتركت حتى الفرائض التي فرضها ربها جل وعلا؟..

هل ستتذكّر أن أُناسًا شَمّوا ريح الجنة.. وهم على الأرض؟ نعم.. حَدَثَ ذلك مع أنس بن النضر(١٠٨) ﷺ.. فقد صَدَقَ في طَلَبِها.. وَعَمِلَ لأجلها.. فكان من أهلها.. بل شَمّ ريحها وهو حَيّ على الأرض يُرزق..

هل تتذكّر كرامات الشهداء؟ فمنهم من ظَلَّلَتْهُ الملائكة.. وكلّمه ربه كفاحًا(١٠٩).. ومنهم من غَسّلته الملائكة(١١٠) فكانَ عبرةً وعِظةً لكل من يُقدّم دين الله على هوى نفسه.. ألم يقل الله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى**

---

(١٠٨) لقي أنسُ سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد، ثم ألقى بنفسه في أتون المعركة، وما زال يقاتل حتى استُشهد، فوُجد فيه بضع وثمانون ضربة . وفي هذا وأمثاله نزل قول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ .

(١٠٩) قال جابر ﷺ: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: **(تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه).**

وقال رسول الله ﷺ: **(يا جابر ما لي أراك منكسرًا؟)** قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً وديناً، قال ﷺ: **(أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟)** قال: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: **(ما كلّم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا، يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك فقال: يا عبدي، تمنَّ عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأُقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب.. فأبلغ من ورائي).** فأنزل الله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، السيرة للصلابي ١١٢/٢.

(١١٠) هو حنظلة بن أبي عامر، كان حديث عهد بعرس، وخَرَج إلى الجهاد وهو على جنابة.. ولم يغتسل.. فَغَسّلته الملائكة بين السماء والأرض بماء المُزن، بصحاف من فضة، انظر السيرة للصلابي ١١٤/٢.

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾{النازعات ٤٠- ٤١}؟. وغيرهم الكثير..

ماذا ستتذكّر في أُحد؟ هل ستتذَكّر عمرو بن الجموح وقوله " إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة"؟.. أم ستتذكّر عين قتادة بن النعمان[١١١]؟

ألا يُذَكِّرُكَ جبل أُحد أن المنافقين لا يؤتمنون.. على مَرّ الأزمان؟ فقد خَذَلوا الحبيب ﷺ، وانسحب زعيمهم ابن سلول بِثُلث الجيش (٣٠٠ رجل) عندما جَدّ الجِدّ.. وعندما حصل اختبار الإيمان الصادق.. وما كان انسحابهم إلا لإحداث بلبلة واضطراب في صفوف المسلمين وإضعافًا لمعنوياتهم[١١٢].. فهذا دأبهم دائمًا.. لكن هذا لحكمة ربانية بالغة.. ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...**﴾ {آل عمران ١٧٩}..

في أُحد تتذكّر أيضًا كلمات أبي دجانة ﷺ عندما أَخَذَ سيف رسول الله ﷺ.. تلك الكلمات التي ما ينبغي لمسلم أن ينساها..

أنــا الــذي عــاهَدَني خليـلي *** ونحنُ بالسَّفحِ لدى النّخيلِ
أن لا أقوم الدّهرَ في الكيولِ[١١٣] *** أضرب بسيف الله والرسولِ

---

(١١١) أصيبت عين قتادة ﷺ حتى سقطت على وجنتيه فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما، وأصبحت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وقد قدم وَلَدُهُ على عُمَر بن عبد العزيز -رحمه الله- فسأله من أنت؟ فقال له مرتجلاً:

أنا ابن الذي سالت على الخدِّ عينُه *** فَرُدّتْ بِكَفّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعـادت كـما كـانت لأول أمرهـا *** فيا حُسنها عينًا ويا حُسن ما خـدِّ

(١١٢) السيرة للصلابي ٢/ ١٢٣.

(١١٣) الكيول: مؤخّرة الصفوف، السيرة للصلابي ٢/١٣١.

عندما تَمُرّ بخاطرك قِصّة أبو دجانة وعُصابته الحمراء[١١٤].. ماذا تتذكّر؟؟ تتذكّر أن الجهاد واجب على كُل مُسلم.. وأن الاستشهاد أعظم شرف يناله الإنسان..

أخذَ أبو دجانة سيفه.. وأنت -أيها الغالي- أخذتَ كتابه.. أخذتَ سُنته.. أخذتَ هديه.. فماذا ستفعل بها؟؟ هل ستُجاهد لنشرها وتبليغها للناس؟؟

في أُحد.. شُجّ رأس الحبيب ﷺ.. وكُسرت رباعيته وأنفه.. وسال دمه.. لكنه قال كلمات تُضيء الطريق للمسلمين.. ترسم لفهم معالم حياة الفلاح والسعادة.. حياة الخير والبركة.. قال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه الشريف: **(كيف يُفلح قوم شَجّوا نبيّهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟)** فأنزل الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾آل عمران: ١٢٨[١١٥].

فما بال أقوام يكسرون كلامه.. يرمون هديه خلف ظهورهم؟ ما بال من أشاع المعاصي وشَجّع عليها؟ ما بال حارب الفضيلة والهُدى؟ هل سيُفلحون؟ هل ينجحون؟

---

(١١٤) بعد أن التحم الجيشان واشتد القتال، شَرَعَ رسول الله يشحذ في همم أصحابه ويرفع معنوياتهم وأخذ سيفًا، وقال: **(من يأخذ مني هذا؟)** فبسطوا أيديهم، كلهم يقول: أنا أنا، قال: **(فمن يأخذه بحقه)** قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: **(أن تضرب به العدو حتى ينحني)** قال: أنا آخذه بحقه، فدفعه إليه وكان شجاعًا، فَلبس عصابته الحمراء وأخذ يختال، و يمشي مشية متكبر، فرآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين وقال: **(إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن)**.

(١١٥) رواه مسلم، مشكاة المصابيح ٥٨٤٩.

في أُحد.. نتذكّر كلمات نبوية عظيمة.. يجب أن نتخذها شعارًا.. فعندما صاح أبو سفيان -ولم يكن قد أسلم بعدُ-: لنا العُزى.. ولا عُزى لَكُم.. فقال ﷺ: **(ألا تُجيبوه؟)** قالوا: وما نقول؟ قال: **(قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)**(١١٦).. نعم.. والله لا مولى للمسلمين سوى الله.. ولا ناصر سواه.. ولا مُعِزّ إلاه.. فإذا تَمَسّك الناس بالشرق والغرب.. فتمسّك أنت بحبل الله.. فهو المتين القوي الذي لا انفصام له.. ولو تشَبّث الناس بالمخلوقات.. فإن الله هو مولاك.. فاستعن به.. وتوكل عليه..

جَبَل سلع

اخرج من باب السّلام.. ثم امشِ حتى تصل إلى حدود ساحات الحرم.. ثم انظر أمامك.. ترى جبلاً شامخًا عاليًا عظيمًا.. كان له في التاريخ الإسلامي دورٌ كبيرٌ.. إنه جبل سلع.. ذلك الجبل الذي حمى ظهور المسلمين في غزوة الخندق.. وقتَ أن خَذَلَهم اليهود..

ماذا ستتذكّر عندما ترى جبل سلع؟ لاشكّ أن أول ما ستتذِكّره هو غزوة الأحزاب.. وما فيها من عبر وعِظات وكرامات..

ستتذَكّر أن رسول الله ﷺ استسقى بالمسلمين عند هذا الجبل.. فتتيقّن على ربك حَقّ اليقين.. لأنه ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا**

(١١٦) أخرجه البخاري ٤٠٤٣، السيرة للصلابي ٢/١٥٥.

﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾{الشورى ٢٨}..

ستتذكّر أيضًا قصّة كعب بن مالك ومن تخلَّفَ معه عن غزوة تبوك.. فمن على هذا الجبل انطلق صوت البشير إلى كعب ومن معه.. (يا كعب بن مالك أبشر).. فَخَرَّ ساجدًا لله شُكرًا.. وعَلِمَ أن قد جاء الفَرَج.. بعد خمسين ليلة.. وهو على الحالة التي ذكر الله عز وجل ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾{التوبة ١١٨}.. أما يُذكّرك هذا بأن الله تواب رحيم؟ أما يُذكّرك بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾{الزُمَر ٥٣}؟..

أما آن لنا أن نصدق مع الله حتى يُكرمنا فيغفر لنا ذنوبنا؟؟ اللّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا وارض عنا وتقبل منا وأدخلنا الجنة ونجنا من النار وأصلح لنا شأننا كله... يا أرحم الراحمين..

وداع المدينة

هذه هي مدينة رسول الله ﷺ.. سَمَّاها طيبة.. لأنها طيّبة.. أرضها طيّبة.. وهوائها طيّب.. وماؤها طيّب.. وأهلها طيّبون.. قال عنهم رَبّهم: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ {الحشر ٩}

هي الدار والإيمان.. وقبة الإسلام.. وأرض الهجرة.. ومثوى الحلال والحرام[١١٧].. وهي الدرع الحصينة[١١٨].. يأوي إليها الإيمان ويأرز.. حماها الله تعالى بالملائكة من الدجال ومن الطاعون[١١٩]..

هُناك.. في طيبة.. تُحَطّ الذنوب.. وتتحقق الشفاعة.. وتُنشَـرُ الشهادة.. فالحبيب ﷺ يقول: **(مَنْ صَبَرَ على شِدَّتِها ولأوائها، كُنتُ له شَهيدًا أو شَفيعًا يوم القيامة)**[١٢٠].. بل كان الحبيب ﷺ يدعو: **(اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد)**..

طيبة.. من أتاها لا يُحِب تركها.. ومن تَرَكها -مُرغمًا- فإنها سَتَظلّ في عينه.. ولا يُفارقه الشّوق.. بل سيكون قرينه وجليسه.. في صحوهِ وفي منامه.. لأنها المحبة الصادقة.. على حَدّ قول الشاعر:

لا يرجعُ الطَّرفُ عنها حين يرقُبُها *** حتى يعودَ إليها الطَّرفُ مُشتاقًا

ما ينبغي لنا أن نذهب إليها دون أن نتذكّر ما فيها... فإنها بلد الحبيب...

---

(١١٧) وصفها الرسول ﷺ بذلك، لكنه حديث ضعيف أخرجه الطبراني، السلسلة الضعيفة ٧٦١.

(١١٨) أخرج أحمد وغيره أن رسول الله ﷺ رأى في نومه أنه أوى إلى درع حصينة، وَأَوَّلَ رؤياه بأنها المدينة، السلسلة الصحيحة ١١٠٠.

(١١٩) قال ﷺ: **(على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال)** متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٢٠) رواه مسلم، انظر الترغيب والترهيب ١١٨٧، الأواء: الشّدة، مختار الصحاح مادة ل أ ى.

الطريق إلى مكة

ذو الحليفة

انطلقَت الحافلة من المدينة إلى ذي الحليفة (آبار علي).. وهُناك تَلبس ملابس الإحرام وتنوي نية الحج أو العمرة.. هُنا.. في هذا المكان أَحْرَمَ رسول الله ﷺ.. ومن هُنا كان ينطلق إلى عمرته وحجّته..

هُنا.. نُكّست شُروط صُلح الحديبية القاسية الظالمة.. ففي أعقاب الصلح استطاع أبو بصير أن يفر بدينه من سجون الشرك في مكة، والتحق برسول الله ﷺ، ولكن اتفاقية الحديبية تقضي بِرَدّ كُل مسلم يأتي من مكة إلى قُريش.. فبعثت قريش في إثره، فقال ﷺ: (**يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا**) ، فانطلقَ معهما، وقد شَقَّ ذلك على المسلمين وهم ينظرون بحزن إليه يعود إلى سجنه بمكة بعد أن أفلت من ظلم قريش، فلما كانا بذي الحليفة، قال لأحد صاحبيه: أصارم سيفك هذا؟ فقال: نعم، قال: أَنْظُر إليه؟ قال: انظر إن شئت، فاستله أبو بصير وقتله به ، وفر الآخر إلى رسول الله ﷺ فقال: قَتَلَ صاحبكم صاحبي، فجاء أبو بصير متوشحًا السيف، وقال: يا رسول الله وَفَت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم، وقد امتنعت، فقال النبي ﷺ: (**ويل أمه مُسَعّر حرب لو كان له أحد**) كما أخرج البخاري في صحيحه.

ثم لحق به أبو جندل وغيره حتى اجتمع عنده عصبة قوية، فكانوا يعترضوا قوافل قريش ويقتلوا من فيها، ويأخذوا الأموال، فأرسل المشركون إلى النبي ﷺ يناشدونه بالله والرحم لما أرسل إلى أبي بصير ومن معه، ومن أتاه منهم فهو آمن، وتخلوا في ذلك عن أقسى شروطهم التي صبوا فيها كؤوس كبريائهم، فذلت قريش من حيث طلبت العز(١٢١). فَتَذَكّر ذلك..

للعلم فقط: يَمُرّ من ذو الحليفة وادي العقيق.. الذي وصفه الحبيب ﷺ بأنه وادٍ مُبارك.. أخرج البخاري أنه ﷺ قال: (**أتاني الليلة آتٍ من عند ربي، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك** (يعني العقيق) **وقل: عمرة في حجة**).

التلبية

بعد نيّة الإحرام لعُمرتك أو حَجّك وجب عليك أن تُلَبّي على طول الطريق بين المدينة ومَكّة.. تقول: (**لَبيك اللّهُمَّ لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك**).. قال ﷺ: (**ما من مُلَبٍّ يُلَبّي إلا لَبّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تَنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا عن يمينه وشماله**)(١٢٢)..

تَفَكّر في كلمة (لبَيك).. تَفَكّر في معناها.. في مبناها.. في مغزاها.. إنها تمام العبودية.. تمام الخضوع.. تمام التذلل.. وتمام الاستسلام..

---

(١٢١) السيرة النبوية للصلابي ٢-٤١٧.

(١٢٢) رواه الترمذي وابن ماجه، صحيح الترغيب والترهيب ١١٣٤.

(لبّيك).. تلك الكلمة التي يجب أن تتفكّر فيها.. وتقولها من قلبك.. لبّيك يا رب.. لبيك في جميع أوامرك.. لبيك في جميع نواهيك.. لبيك اللّهُمَّ لبيك.. لبيك الآن.. ولبيك غدًا.. ولبيك طول حياتي.. لبيك هُنا.. ولبيكَ حين أرجع إلى ديارِي.. لبيك في ليلي.. لبيك في نهاري..

(لَبيك اللّهُمَّ لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.. لبيك إِلَهَ الحق.. لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل.. لبيك ذا المعارج.. لبيك ذا الفواضل).. ارفع بها صوتك[١٢٣].. وافتح بها قلبك.. وأَعمِل به فِكرك.. واشكر بها رَبّك..

وادي القديد

مضت نحو ثلاث ساعات، والحافلة متوجهةٌ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة.. الحجاج أو المعتمرون بعضُهم يُلبي.. وبعضهم يذكُرُ الله.. وآخرون نائمون يستريحون استعداداً لاستئناف التلبية..

وبينما أنت تنظر إلى يمين الشارع.. إذ رأيتَ لوحةً إرشادية زرقاء.. كُتب عليها: (وادي القديد.. مكة ١٣٠ كم)..

هنا اقشعَرّ جلدك.. وبدأ قلبك بمضاعفة النبضات.. ما الخطب؟؟ ما

---

(١٢٣) انظر إرواء الغليل ٤-٢٠٢، قال ﷺ: **(أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية)**(صحيح الجامع ٦٢). وقال ﷺ : **(أفضل الحج العَجّ والثَّجّ)**(صحيح الجامع ١١٠١) و(العج) : رفع الصوت بالتلبية و(الثج) : سيلان دماء الهدي والأضاحي.

الذي يجري؟؟ أنت الآن تَمُرُّ من مكان للحبيب فيه ذكرى.. وأي ذكرى.. افتح من فضلك إذاعة قلبك.. لتسمعها تقول:

اليوم هو اليوم الثاني لخروج حبيب القلوب من مكة متجهاً إلى المدينة منطلقاً من غار ثور.. يُرافِقُهُ رَفِيقُ دَرْبِهِ وَحَبِيبُ قَلْبِهِ أبو بكر الصديق.. ومعهما عامر بن فهيرة.. اليوم.. هو الثلاثاء.. الثاني من ربيع الأول من السنة الهجرية الأولى.. الحر شديد.. لا ماء معهم ولا زاد.. وإذا بظل خيمة يلوح في الأفق.. توجها إليها.. وإذا فيها عجوز كبيرة.. إنها أم معبد.. امرأة من خُزاعة.. سلما عليها.. سألاها شيئاً يَسُدّون به جوعهم.. أو يُخففون به عطشهم.. اعتذرت أم معبد.. الشياه بعيدة المرعى.. ولا يوجد في بيتي ما أعطيكم إياه..

نظر عنوان الرحمة إلى جانب الخيمة.. فإذا بشاة هناك.. قال: **(ما هذا يا أُم مَعبد؟)** قالت: شاة خَلَّفَها الجَهد[١٢٤] عن الغنم . قال: **(هل بها من لبن ؟)** قالت: هي أجهد من ذلك . قال: **(أتأذنين لي أن أحلبها ؟)** قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حَلبًا فاحلبها .

فدعا رسول الله ﷺ ، فمسح بيده ضرعَها، وَسَمَّى الله تعالى، ودعا لها في شاتها فتفاجَّت عليه.. وَدَرّت له لبنًا.. فملأ إناءً كبيراً يُشبع الرهط[١٢٥].. فسقى "أُم معبد" حتى ارتوت.. ثم سقى أبا بكر وعامراً رضي الله عنهما حتى ارتويا.. ثم شرب عليه السلام آخراً..

---

(١٢٤) يعني الإعياء والتعب، فهي هزيلة.

(١٢٥) الرّهط: ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، مختار الصحاح مادة ر هـ ط.

ثم ملأ الإناء مرة أُخرى.. وتركه لأم معبد.. ثم تابعوا سيرهم إلى طيبة.. وجاء زوجها.. وتفاجأ باللبن.. أنى لك هذا والشاة عازب؟؟ فأخبرته الخبر العجيب.. ووصفت له محمداً ﷺ بوصفٍ لم يصفه به أحد من قبل.. وصفته من مفرق رأسه إلى أخمصه.. ووصفت كلامه وخُلُقه..

جزى اللهُ رَبَّ النّاسِ خَيْرَ جزائِه *** رَفِيقَينِ حَلَّا خَيمتي أُمّ معبدِ

هُمـا نَزَلا بِـالبَرِّ ثـم تَـرَوَّحـــا *** قَدْ أَفْلَحَ من أمسى رفيقَ مُحمدِ

ليهنِ بـني كعبٍ مَـقام فَتاتِـهم *** ومقعدها للمؤمنين بمرصـدِ

أرى دمعتك -أيها الغالي- قد سالت وأنت ترى تضحيات الحبيب لأجل دينه.. وأنت ترى رحمته بأصحابه؛ حتى أنه سقاهم قبله.. والله يحق لك ذلك.. فهو الرحمة المهداة.. يا سيدي..

وإذا رحمتَ فأنتَ أُمٌّ أو أبٌ *** هذان في الدنيا هم الرحماءُ

امسح دمعتك من فضلك.. ثم تابع التلبية.. فقد اقتربتَ من مكة.. والتلبية واجبة.. فلا تدعها..

وصيّة : (**دينك دينك.. لحمك ودمك..**).

مَكَّة المُكَرّمة

أنت الآن ما زلتَ تُلَبّي بلسانكَ وقلبك وعقلك.. بينما على رصيف الشارع -من جهة اليمين- تتسارع إشارات التوجيه لتُريكَ بُعدكَ عن مكة؛ (مكة ٢٠٠ كم).. (مكة ١٠٠ كم).. (مكة ٥٠ كم).. (مكة ٢٠ كم).. وخلال هذه اللحظات.. تتسارع نبضات القلب شيئًا فشيئًا.. والعقل لم يُصَدّق بعدُ أنه قريب من البيت الحرام.. ودرجات الشوق ترتفع إلى أعلى مُستوياتها.. والدموع نزولها وشيك..

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد *** سِرَتم جُسومًا وسِرنا نحنُ أرواحًا

إنـا أقمنا على عُذرٍ وقـد رحلـوا *** ومن أقـام على عُـذرٍ كَمَنْ راحـا

صَدّق أيها العقل أو لا تُصَدّق.. ها قد وَصَلَت الروح قبل الجسد إلى هُناك.. إلى مَكّة.. خير بقعة أرض في هذه الدنيا.. أَحَبّ أرضٍ إلى الله تعالى.. مبدأ الوحي الإلهي.. وأرض الأنبياء.. فما من نبيّ إلى وجاءها مُلبّيا[١٢٦].. وَخَتَمهم محمد ﷺ بأربع عُمراتٍ وحجة الوداع..

---

(١٢٦) وَرَد في الأحاديث أن الأنبياء حجوا البيت وطافوا به، ففي مُصَنّف عبد الرزاق مرفوعًا: **(وأتى آدم على البيت فطاف به، ومن بعدُ الأنبياء..)**، وعن ابن عباس ﷺ قال: سرنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بواد فقال: **(أي وادٍ هذا ؟)** قالوا وادي الأزرق. قال: **(كأني أنظر إلى موسى... واضعًا أصبعيه في أذنيه له جؤار إلى الله بالتلبية مارًا بهذا الوادي)**، قال: ثُمّ سرنا حتى أتينا على ثنية. فقال ﷺ: **(أي ثنية هذه؟)** قالوا: هرشى. فقال: **(كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جُبة صوف خطام ناقته خُلْبَةٌ مارًا بهذا الوادي ملبيًا)** رواه مسلم. جؤار: رفع الصوت، خُلبة: الليف.

أَظُنّك تتساءل: لم هي صحراء مُقفرة؟ لم هي بيداء قاحلة؟ لا تتعَجّب.. " فلو شاء اللهُ لَبَنى بيته على ضفاف نهر فيّاض.. ووادٍ كُلّه قِطَعُ الرّياض.. بين الجداول المُظللة.. والرُّبى المُكللة.. والغُصون المُهدّلة.. لكن لله في خلقه أسرار.. فمكة في مقاييس البشر المادية لا جمال ولا طبيعة ولا أرض خضراء.. ولا بلد ذات أنهار وماء.. لا جنات.. ولا بساتين.. ولا مناخ مُعتدل.. إنما صخور صَمّاء.. ووديان وبيداء.. أرضٌ غير ذات زرع.. جوّها صحراوي.. حار جدًا صيفًا.. وبارد في الشتاء.. متوسط درجة حرارتها (٤٨) درجة مئوية.. لكنها أحَبّ أرضٍ إلى الله[١٢٧].. لماذا؟ لأن مقاييس البشر لا علاقة لها بحكمة الخالق.. فالذي يزورُها لا يزورُها إلا شوقاً إليها.. لا يزورُها إلا رغبةً ولهفاً وحُباً فيها.. فإنَّ حُبَّها فطرةٌ فطرَ اللهُ الناس عليها منذُ كُنا في أصلاب آباءِنا[١٢٨]، فالمتعة التي تحصُلُ لزائرِ مكة مُتعةٌ فطريّةٌ قلبية، أعظم من كلّ زينة الدنيا وزُخرُفَها.. فالدّنيا وزخرفها هُناك تُنسى..

مكة.. لا يأتيها زائرها إلا طاعة لأمر الله.. واقتداءً برسول الله.. فهي أُم القُرى.. وقبلة المسلمين.. إلى مسجدها تُشَدّ الرحال.. وتحرسها الملائكة من الدجال.. لا يدخُلها غير المسلمين.. ولا يُحبها إلا المتقون.. من دخلها كان

---

(١٢٧) مرشد السالكين صفحة ٨٧ بتصّرف.

(١٢٨) عندما انتهى إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة، أمره اللهُ أن يُأذّن في الناس بالحج.. فقال: وما يبلُغُ صوتي يا ربِّ؟ فقال الله: أَذّن يا إبراهيم وعلينا البلاغ.. فصعد إبراهيم عليه السلام إلى جبل أبي قُبيس، وصاح: أيها الناس.. إن رَبَّكُم يأمُرُكُم أن تحُجوا هذا البيت.. فَحُجّوا.. فأجابه كُلُّ من كان في أرحام الأمهات.. وفي أصلاب الرجال: لبيكَ اللّهُمَّ لبيك.. انظر تفسير القرطبي ١٢-٣٢.

آمنًا.. ووجب عليه تعظيمها، قال ﷺ: **(لا تزال هذه الأمة بخير ما عَظَّمُوا هذه الحُرمة حَقَّ تعظيمها، فإذا ضيعوا ذلك هلكوا)**[١٢٩].

مكة.. تُضاعف فيها أجور الصلوات إلى مئة ألف صلاة.. وقياسًا عليها أنواع الحسنات والطاعات كلها[١٣٠].. فصيامك فيها بمائة ألف.. وصدقتك فيها بمائة ألف.. وذكرك فيها بمائة ألف..

مكة.. مولد الحبيب ومنشأه.. كما كانت من قبل منشأ أبويه الذبيحين الأصغر والأكبر[١٣١].. رَبّتهُ صبيًا.. واستقبلتهُ نبيًا.. خَرج منها مُكرهًا[١٣٢].. وعاد إليها مُشتاقًا..

---

(١٢٩) رواه ابن ماجة، انظر "الأربعون المكية" صفحة ١٦، حديث رقم ١٣.

(١٣٠) اختلف العلماء في مضاعفة الحسنات قياسًا على الصلاة، فَرَجّح صاحب "أحكام وخصائص الحرمين" (٢-٥٨٠) مضاعفتها، وذَكر أدلة ، لكنه قال: ليست في الثبوت كأحاديث الصلاة اهـ

قال العلامة بن باز رحمه الله: الأدلة الشرعية على أن الحسنات تضاعف في الزمان الفاضل مثل رمضان وعشر ذي الحجة، والمكان الفاضل كالحرمين فإن الحسنات تضاعف في مكة والمدينة مضاعفة كبيرة.... لكن ليس في النص فيما نعلم حد محدود ما عدا الصلاة فإن فيها نصًا... كما سبق .

أما السيئات فالذي عليه المحققون من أهل العلم أنها لا تضاعف من جهة العدد ولكن تضاعف من جهة الكيفية، أما العدد فلا؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾{الأنعام ١٦٠} سواء في رمضان أو الحرم أو غيرها، فالسيئة بواحدة دائمًا وهذا من فضل الله تعالى وإحسانه، ولكن سيئة الحرم، وسيئة رمضان، وسيئة عشر ذي الحجة أعظم إثمًا من السيئة فيما سوى ذلك... من موقع الشيخ على الانترنت.

(١٣١) الذبيح الأكبر هو إسماعيل عليه السلام، والأصغر هو عبد الله بن عبد المطلب أبو الرسول ﷺ.

(١٣٢) قال رسول الله ﷺ لمكة: **(ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)** أخرجه الترمذي، انظر حديث رقم: ٥٥٣٦ في صحيح الجامع.

ماذا ستتذكر عند وقوفك على أبواب مكة؟ ستتذكّر أباك إبراهيم عليه السلام وعائلته.. عائلة العظماء.. عائلة الصبر والتضحيات والفداء.. التي طالما سمعنا عنها في كتاب ربنا تبارك وتعالى.. وفي سُنّة نبينا ﷺ.. لكن لرؤية التطبيق العملي مذاق مختلف.. وللرؤيا البصرية طعم خاصّ.. ومُعاينة المكان يفتح أبواب الذكريات على مصراعيها.. كما يفتح مجاري الدموع..

في مكة.. تتذكّر كيف أُلقي في النار.. وتتذكّر ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾{الأنبياء ٦٩}.. فتستحضر عظمة الله تعالى في قلبك.. وتستحضر قوّته وسرعته في الاستجابة لمن استجار به، وتمَسّك بحبل التوكل واليقين الذي لا ينفصم.. وقال حسبي الله ونعم الوكيل.. فمن يتوكل على الله فهو حسبه..

في مكة.. تتذكّر كيف تَرَكَ إبراهيم عليه السلام زوجه ورضيعه بوادٍ غير ذي زرع.. حيث لا رفيق ولا أنيس.. ولا صاحب ولا جليس.. سوى ربّ العالمين جل وعلا.. فتزداد فيك روح التضحية لأجل دين الله جل وعلا.. ولا شَكّ أنك ستتذكّر تَضَرُّع أبيك إبراهيم خاشعًا متذللاً: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾{إبراهيم ٣٧}.. فتتعلم منه الدعاء والمناجاة..

في مكة.. تتذكّر يقين هاجر على الله.. وتتذكّر قولها: (يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟) وكررت ذلك مرارًا.. وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : (آلله أمرك بهذا ؟) قال : نعم .

قالت: (إذا لا يُضَيّعَنا) فناداها المَلَكُ: **(لا تخافوا الضيعة؛ فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه؛ فإن الله لا يُضَيّع أهله)**[١٣٣].. عندها ترفع يديكَ إلى الله.. وتتوجه بوجهك إلى الكعبة وتقول: يا رب.. ارزقنا يقينًا كيقين هاجر.. يا رب ارزقنا ثقةً كَثِقَتِها.. يا رب اجعلنا من أهلك الذين لا تُضَيّعهم.. يا الله..

هُناك تتذكّر إسماعيل عليه السلام وتضحيته.. صبر على فراق الأب الحاني.. فرعاه وتولاه الله الوالي..

الكعبة المشرّفة

أعظم ما تتذكّره في مكة بيت الله الحرام.. الكعبة المعظمة.. زادها الله تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابّة.. الكعبة.. بِناءٌ مُكَعّب صغير[١٣٤].. لكنّ الأرواح إليها تهفو.. والأفئدة إليها تهوي.. والنفوس إليها تشتاق.. ففيها تُغفر الذنوب[١٣٥].. وفيها يُستجاب الدعاء[١٣٦].. وفيها تُرفع الدرجات[١٣٧].. فهي أول بيتٍ وُضع لعبادة الله تعالى في الأرض ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**

---

(١٣٣) صحيح السيرة النبوية للألباني صفحة ٤٠ - ٤١ بتصّرف.

(١٣٤) طولها من الحجر الأسود إلى الركن الشامي "جهة الباب" ١١,٨٨ مترًا، وعرضها من الحجر الأسود إلى الركن اليماني ٩,٩٢ مترًا، مرشد السالكين صفحة ٩٣.

(١٣٥) قال رسول الله: **(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)** متفق عليه

(١٣٦) قال ﷺ: **(الحُجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم)** صحيح الجامع ٣١٧٣.

(١٣٧) قال ﷺ: **(من طاف بهذا البيت أسبوعًا**(سبعة أشواط) **فأحصاه كان كعتق رقبة)** وقال: **(لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة)** صحيح الجامع ٦٣٨٠.

﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.. بل هي بؤرة العالم وسُرّته.. ووسطه ومركزه[١٣٨]..

عندما ترى الكعبة المُشَرّفة تتذكّر الملائكة العظام الذين لا يعصون الله ما أمرهم.. فهم أول من بنى الكعبة.. كما في الروايات.. وقيل أن آدم هو أول من بناها[١٣٩].. وهذا يُذكّركَ بأبيك آدم عليه السلام..

أعتقد أن قصص آدم ﷺ تدور في خُلدك الآن.. حيث تطوف ذاكرتك بها.. منذ أن خَلَقه الله تعالى من غير أب ولا أُم.. وتعليمه الأسماء.. وخلق أُمّنا حواء من ضِلعه.. وقصته مع إبليس.. وقصة أبنائه قابيل وهابيل تُذكّرك بعاقبة الظلم.. نعم؛ فأبوك آدم كان هُنا.. مشى هُنا.. طاف هُنا.. وَعَبَدَ اللهَ هُنا.

عند الكعبة تتذكّر أباك إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.. فهما اللذان رفعا قواعد البيت بأمر من الله.. وهذه آثار أقدامه محفورة في حجرٍ ما زالت شاهدة.. فقد عبرت آلاف السنين بقوة وعزيمة عالية لم تَمْحُها القرون ولا السنون.. لأنها ذكرى الرجل العظيم عليه الصلاة والسلام.. نعم.. انظر إلى مقامه.. وَرَدّد قول عبد المطلب جد الرسول[١٤٠] ﷺ:

وموطئ إبراهيمَ في الصخرِ رطبة *** على قدميْه حـافيًا غير نـاعلِ

---

(١٣٨) يُقابلها في السماء "البيت المعمور" يقول الرسول ﷺ: **(البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة)**، قال الألباني رحمه الله: وفي رواية أخرى بزيادة **(بحيال الكعبة)** . وعن قتادة قال ذكر لنا أن النبي ﷺ قال لأصحابه: **(هل تدرون ما البيت المعمور؟)** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **(فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة لو خَرَّ لَخَرَّ عليها)** وإسناده مرسل صحيح. اهـ من السلسلة الصحيحة ٤٧٧. وانظر كتاب "الكعبة مركز العالم" د. سعد المرصفي، ففيه تفصيل علمي رائع.

(١٣٩) انظر النبذة اللطيفة صفحة ٥٠.

(١٤٠) مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب صفحة ٩٤.

ويتبادر إلى ذهنك بلا شكّ دعواتهما وتضرّعهما عليهما السلام.. ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾{البقرة ١٢٧- ١٢٩}..

يا الله.. إنها دعواته لنا.. لا ينسانا رُغم أنه لم يرنا.. لا ينسانا رغم أنه بعيد منا آلاف السنوات.. إنها عظمة النبوة.. إنها رحمة إبراهيم الذي كان (أُمة) بالأمة.. صلى الله عليك يا أبانا إبراهيم.. وعلى ابنك إسماعيل.. فمنكَ يا نبي الله.. تَعَلّم محمد حبيب الله ﷺ فقد كان دائم الدعاء لأمته..

عند الكعبة تتذكّر أبرهة الأشرم وفيله وجيشه.. فتتيقّن أن الله غالبٌ على أمره.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون[١٤١]..

عند الكعبة.. تتذكّر عبد المطلب عندما أقسم أن يذبح أحد أولاده العشرة.. وخرجَ السّهم عشر مرات على عبد الله.. أبي النبي ﷺ.. لتتيقّن على قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾{المائدة ١}﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾{الحج ١٤} ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾{الحج ١٨}.. إنها حكمة الله البالغة..

هُنا تتذَكّر عمه أبو طالب وهو يرعى الحبيب ﷺ رُغم قلة ذات اليد.. وكثرة العيال.. ففي ظلها كان يُجلسه على فراشه.. وفي فنائها كان يجمعه بسادة القوم..

---

(١٤١) سنتكلم ببعض التفصيل عندما تَمُر بنا القافلة من عند وادي مُحَسّر.

عند الكعبة.. تتذكّر اختلاف قُريش فيمن يضع الحجر الأسود مكانه يوم أن بَنو الكعبة.. فَكانت كُلّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، لولا أن أبا أمية بن المغيرة قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك، دخل محمد ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا، فلما أخبروه الخبر قال: (**هلموا ثوبًا**)، فأتوه به فَوَضَعَ الحجر فيه بيديه ثم قال: (**لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعًا**) فرفعوه، حتى إذا بلغوا موضعه وَضَعَهُ بيده ثم بُنِيَ عليه... قال أحدهم[١٤٢]:

فلما رأينا الأمر قد جَـدّ جَدّهُ *** ولـم يبقَ شيءٌ غير سَـلِّ المُهَنّدِ
رضينا وقُلنا العدلُ أولُ طـالعٍ *** يجيءُ من البطحاءِ من غير موعدِ
ففاجأنـا هـذا الأمـينُ مُحَمّدٌ *** فقُلنـا رضينـا بـالحبيبِ مُـحَمّـدِ
فجاءَ بأمرٍ لم يَرَ الناسُ مثله *** أعَـمَّ وأرضى فـي العواقبِ والبَـدِ
أخذنا بأطـراف الرّداء وكُلّنـا *** لـه حُصّة من رفعهـا قبضـة اليدِ
وكُلّ رضينـا فعلـه وصنيعـهُ *** فأعظِم به من رأي هـادٍ ومُهتـدِ
وتلك يدٌ منه علينـا عظيمةٌ *** يروح لَـها مَرّ الزمـان ويغتـدي

هُناك عند الكعبة تتذكّر بدايات الدعوة.. تتذكّر ﴿**اقْرَأْ**﴾ و﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ و﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾.. تتذَكّر طوافه ﷺ على الناس.. في بيوتهم.. في

---

(١٤٢) نساء أهل البيت صفحة ٥١.

نواديهم.. في أسواقهم.. يقول لهم: (**يا أيها الناس قولوا : (لا إِلَهَ إلا الله) تفلحوا**) .

قال ربيعة الديلي ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ بـ (ذي المجاز) يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تَقِدُّ وجنتاه، وهو يقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلتُ: من هذا؟ قيل: هذا أبو لهب(١٤٣).

ألا يدفعكَ هذا دفعًا إلى الدعوة إلى دين الله تعالى اقتداءً بحبيبك ﷺ.. وإلى الصبر على مشاقّها.. مهما تآمر المتآمرون.. ومهما حاول المثبّطون.. ومهما عارض المعارضون.. فالحَقُّ أَحَقُّ أن يُتَّبع.. اثبت.. فهذا سبيل ربك.. هذا طريق حبيبك.. هذا الواجب الذي أمركَ الله به.. ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾{يوسف ١٠٨}..

هُنا.. وقف في وجهه صناديد قُريش.. عذّبوه وآذوه.. هو ومن صحبه وآمن به.. ولا يخفى على أحدٍ ما لاقاه المسلمون الأوائل من العذاب بشتى أنواعه.. الجسدي والنفسي والاقتصادي والاجتماعي.. فبلالُ يُسحب على الرمال الحارّة في البطحاء.. وخباب لا يُطفئ نارهم إلا وتق ظهره.. وعامر بن فهيرة يفقد وعيه.. بل في هذه الساحات التي أمامَكَ عُذّب أبو بكر وضُرِبَ بالنعال، وسال دمه الطاهر حتى لا يُعْرَف وجهه من أنفه، وحُمل إلى بيته في ثوبه، وهو ما بين الحياة والموت... وأُوذي عُثمان.. وأوذي عُمر وأوذي عمار

---

(١٤٣) رواه الإمام أحمد والبيهقي، صحيح السيرة النبوية ١٤٣.

وأبوه وأُمه سُميّه.. وغيرهم الكثير رضي الله عنهم[١٤٤].. في هذه الساحات..

بماذا يُذكّركَ هذا؟؟ بالثبات على الدين والصبر والتحمّل من أجله.. بقوة إيمانهم وشجاعتهم.. يُذكّركَ بأن دين الله أغلى.. ويهون في سبيله كُلّ غالٍ.. حتى المال والنفس..

أما رسول الله ﷺ الذي أُوذي في الله ولم يؤذَ أحد مثله.. فقد تناوب عِلْيَةُ القوم على تعذيبه واتهامه وإيذائه.. عقبة بن أبي مُعيط.. الحكم بن أبي العاص.. عدي بن حمراء الثقفي.. الوليد بن المغيرة.. وَعَمّهُ أبو لهب.. وأبو جهل.. فَهُنا.. في هذه الساحات استهزءوا به وقالوا ساحر أو شاعر أو مجنون.. هُنا.. أثاروا الشُّبهات في وجه دعوته، فقالوا: ﴿ **أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾{الفرقان ٥} وقالوا: ﴿ **أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**﴾ وقالوا: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾{الأنبياء ٥} وقالوا: ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**﴾{الفرقان ٤}.. بل وَصَلَ الحَدُّ بِعُقبة أن عَمَدَ إلى فرث جزورٍ ودمه وسَلاه، وَوَضَعَهُ بين كتفيه لما سَجَدَ.. وَثَبَتَ النبي ﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مالَ بعضهم إلى بعض من الضحك[١٤٥].. نعم.. هُنا حَصَلَ كُلّ هذا.. لكن الله تعالى أخبره أنَّه ناصره وأنَّه سيكفيه المستهزئين.. ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾..

---

(١٤٤) انظر ما تعرّض له الحبيب ﷺ وصحابته من التعذيب في السيرة النبوية للصلابي، ١- ٢٥٦ وما بعدها.

(١٤٥) كانت قُريش قد عزمت أن لا تُدخل في نفقة بناء الكعبة ملاً حرامًا، روضة الأنوار صفحة ٧٥، والسيرة للصلابي ١-٢٥٢ وما بعدها.

عند الكعبة.. تتذكّر يوم الفتح الأعظم.. يوم فتح مكة.. يوم أعز الله الإسلام والمسلمين.. تتذكر في هذه اللحظات ما يجب أن يكون عليه المسلمون حتى يفتح الله لهم.. ويُمكن لهم في الأرض..

تتذكّر يوم الفتح.. يوم تهاوت الآلهة الباطلة وحُطّمت.. تهافتت الأصنام.. الحجرية والبشرية.. تهاوى هُبل.. وتهاوت العُزّى.. وتهاوت مَناة.. وتهاوت اللات.. فإذا جاء الحق فليس للباطل سبيل للنجاة.. ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾..

عند الكعبة.. توجّه إلى ربكَ أن يَكْفِ المسلمينَ اليوم المستهزئين.. أن يبعد عنهم الركون إلى الشهوات.. ويُثبّتهم أمام الشبهات.. وأن يبعد عنهم عُدوان المعتدين.. وظُلم الظالمين.. وأن يرُدّهم إلى دينهم ردًا جميلاً.. وليكن شعاركَ دائمًا: **يهون في سبيل دين الله كُلّ غالٍ.. فقدوتنا رسول الله ﷺ وأصحابه أوذوا أشدّ الإيذاء.. وما يئسوا..**

الحجر الأسود

هناك شكلٌ بيضاوي، فضّي اللون يلمع في الركن القريب من باب الكعبة.. إنه الإطار الفضي الذي يُحيط بالحَجَر الأسود.. أشرف حَجَرٍ على وجه الأرض ، وهو أشرف أجزاء البيت الحرام... لذا شُرِعَ تقبيله واستلامه ووضع الخد والجبهة عليه..

ارتفاعه من أرض المطاف متر ونصف المتر، وما يظهر منه حاليًا وما

نستلمه ونقبله هو ثماني قطع صغيرة مختلفة الحجم أكبرها بقدر التمرة ، وأما بقيته فداخل في بناء الكعبة المشرفة.

الحجر الأسود.. قال عنه ﷺ: (**الحجر الأسود من حجارة الجنة**)[١٤٦]..

وقال: (**إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب**)[١٤٧] يعني بالرُّكن هنا: الحجر الأسود ، وسمي رُكنًا لأنه مبني في الركن..

هل ستتذّكر حديث الرسول ﷺ: (**نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم**)[١٤٨].. أم تتذكّر أن (**إنَّ مَسْحَ الحجر الأسود والرُّكن اليماني يحطان الخطايا حطًا**)[١٤٩]..؟ أم تتذكّر أنه (**لولا ما مس الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفي وما على الأرض شيء من الجنة غيره**)[١٥٠]..؟ أم تتذكّر أنه (**ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق**)[١٥١]..

للعلم فقط: كان النبي ﷺ إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف.

---

(١٤٦) حديث رقم: ٣١٧٥ في صحيح الجامع.

(١٤٧) رواه أحمد والترمذي ، صحيح الجامع: ١٦٣٣.

(١٤٨) رواه الترمذي ، حديث رقم: ٦٧٥٦ في صحيح الجامع.

(١٤٩) رواه أحمد ، صحيح الجامع: ٢١٩٤.

(١٥٠) سنن البيهقي ، صحيح الجامع: ٥٣٣٤.

(١٥١) رواه ابن ماجة عن ابن عباس، وهو في صحيح الجامع: ٥٣٤٦.

ورُوِيَ أنه ﷺ استقبل الحجر واستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، فالتفت فإذا عمر يبكي، فقال النبي ﷺ: (**يا عمر هنا تسكب العبرات**).. هنيئاً للحجر تلك القُبُلات من أطهر فم وأغلى بشر..

الحِجر (الحطيم)

هو ذلك البناء نصف الدائري الذي يقع في الجهة الشمالية من الكعبة.. سُمّي (الحِجْر) لأن قُريشًا قَصّرت بهم النفقة الحلال أثناء بناء الكعبة، فَتَرَكوا ما بقي وحَجَروا عليه، أي منعوه[١٥٢]، والحَجْرُ هو المنع.. وَسُمّي (الحطيم) لأنه محطوم من الكعبة أي مفصول عنها.. قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (**لولا أن قومكِ حديثو عهد بجاهلية؛ لأمرتُ بالبيت فَهُدِم فأدخلتُ فيه ما أُخْرِجَ منه، وألزقته بالأرض، وجعلتُ له بابين، باباً شرقياً وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم**)[١٥٣].. وَسُمّي "حجر إسماعيل" لما رُوي أن إسماعيل عليه السلام دُفن فيه[١٥٤]..

---

(١٥٢) مرشد السالكين صفحة ٩٨، وانظر مختار الصحاح مادة ح ط م.

(١٥٣) أخرجه النسائي، وأصله عند البخاري، انظر حديث رقم: ٧٩٢٨ في صحيح الجامع.

(١٥٤) قال العلامة الألباني: لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دُفِنوا في المسجد الحرام، وغاية ما روي في ذلك من آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات أخرجها الأزرقي في " أخبار مكة " فلا يلتفت إليها، وايضًا ما أورد السيوطي في " الجامع " من رواية الحاكم في " الكنى " عن عائشة مرفوعا بلفظ : (إن قبر إسماعيل في الحجر) .اهـ من تحذير الساجد، باختصار.

وقال ابن عُثيمين رحمه الله: " هذه التسمية خطأ ليس لها أصل، وقال: الحِجر الموجود الآن ليس كما يزعم العامة حِجر إسماعيل فإن هذا الحِجر إنما أُحدث أخيراً في عهد الجاهلية، فكيف يكون حِجر لإسماعيل؟ لكنه يسمى الحجر والحطيم ولا يضاف إلى إسماعيل إطلاقاً". من موقعه على الإنترنت.

والحِجر من البيت.. يعني من الكعبة.. لكن؛ ماذا ستتذكّر عندما ترى الحِجر أو تقف عنده؟ أَهمّ ما يُمكن أن تتذكّرهُ هو أعظم رحلة عرفها التاريخ.. رحلة الإسراء والمعراج.. لأنه ﷺ كان في الحطيم أو في الحِجر فأتاه جبريل عليه السلام ومعه البراق.. فَشَقّ صدره وغسله بماء زمزم.. ثم ركب البُراق وطار إلى بلادنا.. إلى بيت المقدس.. إلى المسجد الأقصى.. ثم عَرَجَ إلى السماء.. هل تتذكّر ذلك[١٥٥]؟ هل تتذكّر ما جرى له في رحلة الإسراء.. والمعراج؟ تَذَكّر ذلك وانت تقف هُناك.. وابكِ كثيرًا.. نعم.. يَحِقُّ لك البُكاء.. فأنت بلا شَكّ مُشتاق لرؤيته.. ادعُ ربك وقُل: يا رب لا تحرمنا من رؤيته.. يا رب احشرنا معه.. في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

وفي الحجر أيضًا تَجَلّت القُدس للحبيب، قال ﷺ: (**لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس، قُمْتُ في الحِجر فَجَلّى اللهُ لي بيت المقدس فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُم عن آياته وأنا أنظر إليه**)[١٥٦].. فهل تتجلى لنا عظمة ذلك البيت المقدس فنقوم لأجله؟

---

(١٥٥) قال ﷺ: (**بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحِجر، مضطجعًا، إذ أتاني آتٍ فَشَقَّ ما بين هذه إلى هذه يعني من ثغرة نَحره إلى شِعْرَته، فاستخرج قَلبي ثم أُتيتُ بطُسْتٍ من ذهبٍ مملوء إيمانًا، ففسل قلبي ثم حُشِيَ ثم أُعيدَ**) وفي رواية (**ثم غُسِلَ البّطن بماء زمزم ثم مَلِئَ إيمانًا وَحِكْمَة ثم أُتيتُ بدابةٍ دون البغل وفوق الحمار، أبيض يقال له البراق، يضع خطوه عند أقصى طرفه فَحُمِلْتُ عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح...**) الحديث طويل متفق عليه.

(١٥٦) متفق عليه، واللفظ لأحمد ، انظر حديث رقم: ٣٧٩٢ في صحيح الجامع.

زمزم

إنها أَوّل الثمرات التي طلبها إبراهيم عليه السلام من ربه تبارك وتعالى بقوله: ﴿**وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾{إبراهيم ٣٧}.. إنها هِبة الله تعالى لهاجر وابنها.. بعد تعبها ونصبها وسعيها بين الصفا والمروة مَرّات ومرّات..

زمزم.. قال عنها الحبيب ﷺ: (**خيرُ ماءٍ على وجهِ الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم وشفاء السقم**)[١٥٧].. وهو ماءُ مُبارك.. ومن السُّنّة الشّرب منه.. بل التضلُّع.. يعني الشعور بامتلاء الأعضاء رِيًّا..

ماذا ستتذكّر عند بئر زمزم[١٥٨]؟ أو عندما تشرب منها؟ هل ستتذكّر أنك تشرب من ماء شرب منه أبوكَ إبراهيم.. وزوجته هاجر.. وابنها إسماعيل.. ثم الحبيب ﷺ، فتحمد الله على هذه النعمة العظيمة؟

أم ستتذكّر قول النبي ﷺ في زمزم: (**ماء زمزم لما شرب له، إن شربتَهُ تستشفي شفاك الله، وإن شَربتَهُ لشبعكَ أشبعكَ الله، وإن شربته لقطع ظَمَئكَ قطعه الله، وهي هزمة جبرائيل عليه السلام وسقيا الله إسماعيل عليه السلام**)[١٥٩].. فهل تشربه بنيّة أن يُسهّل الله لك حفظ القرآن.. أو حفظ ألف حديث.. أو أن ييسر لك أُمورك في الدنيا والآخرة.. أو تُصبح عالماً أو داعيةً يخدم دين الله.. أو أن يجعل الله أولادك مُسلمين صالحين صادقين؟...

---

(١٥٧) رواه الطبراني، وهو برقم: ٣٣٢٢ في صحيح الجامع.

(١٥٨) يقع بئر زمزم على بُعد نحو ٢٥ مترًا من الكعبة من الجهة المقابلة للباب، وكان الناس يدخلون إلى البئر لكنه الآن مُغلق أمام الزوار، ويوجد مكانه مُصلّى خاص بالنساء.

(١٥٩) رواه الدارقطني والحاكم، وهو في صحيح الترغيب والترهيب ١١٦٤.

تَذَكّر ذلك ولا تنساه.. فمن نسيه فَقَدْ فَقَدَ الكثير.. ولا تنسانا من دعوة صالحة في ظهر الغيب.. عند زمزم..

الصفا والمروة

إنها من الصّخور العظيمة في التاريخ.. وذلك لسببين:

الأول: لأن الله العظيم ذَكَرَها في كتابه العظيم، فقال: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾{البقرة ١٥٨}.

أما الثاني فلأن أقدام أعظم الناس وطئتها.. الأنبياء جميعهم.. وختامهم محمد ﷺ.. أقدام هاجر عليها السلام.. أقدام الصحابة البررة.. والتابعين ومن تبعهم بالحق.. رضي الله عنهم أجمعين.. وما زالت أقدام الموحدين تَصْعَدُ على هذه الصخرات اقتداءً بأُمهم هاجَر.. وتأسيًا بالأنبياء عليهم السلام..

الصفا(١٦٠)

أول هاتان الصخرتان.. ستصعَد عليها في بداية سعيك حتمًا.. لكن ماذا

---

(١٦٠) أصلها صخرةٌ في جبل أبي قُبيس الذي هو أحد الأخشبين الذين وَرَدَ ذكرُهما في حديث جبريل عليه السلام عندما نزل ومعه ملك الجبال إلى الحبيب بعد حادثة الطائف، فقال له ملك الجبال: يا محمد، إن الله قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أُطْبِق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ: **(بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا)** متفق عليه، انظر مرشد السالكين ١٠١.

ستتذكّر عندها؟؟ ستتذكّر بالتأكيد حبيبك ﷺ عندما أنزل الله تعالى عليه: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ {الشعراء ٢١٤}.. فَقد صَعَدَ على هذه الصخرة التي أمامك.. نعم.. صَعَدَ عليها ونادى قومه: (**يا بني فهر.. يا بني عدي**) -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: (**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**) قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: (**فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فَنَزَلَت سورة المسد: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾[١٦١]. وفي رواية- ناداهم بطنًا بطنًا، ويقول لكل بطن: (**أنقذوا أنفسكم من النار...**) ثم قال: (**يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا...**) [١٦٢].

ثم إنك ستتذَكّر الحبيب ﷺ وهو يجلس مع أوائل الذين صَدّقوه.. يُقرؤهم القرآن سِرّاً.. يُعَلّمهم الصلاة سِرًّا.. يُحَدّثهم سِرًّا.. نعم.. فعلى رأس هذه الصخرة كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم.. حيث أنوار الهداية منها انطلقت.. وحيث أولى كلمات الحق من الحبيب خرجت.. الدار التي أسلم فيها أمير المؤمنين الفاروق عُمر بن الخطاب رضي الله عنه..

---

(١٦١) أخرجه البخاري- كتاب التفسير- سورة الشعراء، رقم (٤٧٧٠).

(١٦٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان ٣٤٨- (٢٠٤).

المروة

ماذا ستتذَكّر عندما تصعد على المروة؟ هُنا وطئت قدماه.. هُنا أطال نجواه.. هُنا مَرّ ساعيًا.. هنا وَقَفَ داعيًا..

هُنا.. على المروة.. التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، فتحدثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو؛ وبقي عبد الله بن عمر يبكي.. فقال له رجل ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال هذا -يعني عبد الله بن عمرو- زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (**من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ؛ كَبَّهُ الله لوجهه في النار**)[١٦٣].فَهَل من مُدّكر؟؟

دار الندوة

إنّها أول دار بُنيت عند الكعبة[١٦٤].. بناها قُصيّ بن كِلاب الجدّ الخامس للرسول ﷺ.. وجعلها مجلسًا للشورى، وكانت مساحتها أكثر من دونم، وكانت قُريش لا تعقد أمر حربٍ أو سلمٍ أو معاهدة أو غيرها إلا فيها.. ولا يدخُلها إلا زُعماء قُريش..

---

(١٦٣) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، انظر صحيح الترغيب ٢٩٠٩.

(١٦٤) كان العرب يسكنون في الشّعاب ويتركون السكنى قُرب البيت تعظيمًا له، حتى جاء قُصي بن كِلاب فَجمع قومه وقال لهم: "إن سكنتم حول الكعبة هابتكم العرب والناس ولا تستحل الهجوم عليكم" فَبَنى دار الندوة، مرشد السالكين ١١٥.

هذه الدار تقع اليوم عند أعلى درجات المطاف (صحن الكعبة) التي من الجهة الشمالية - أي المقابلة للحِجر- لكن لو قَدّر الله لك ووقفت مكان هذه الدار، ماذا ستتذكّر ؟؟ ستتذكّر تآمر المُتآمرين.. وكيد الكائدين.. واقتراحات إبليس اللعين.. فَهُنا اجتمع زُعماء الحلف القُريشي وشاركهم إبليس على هيئة شيخ نجدي ليتّخذوا قرارًا حاسمًا للقضاء على الإسلام والمسلمين.. وعلى النبي الأمين.. وكان ذلك صباح يوم الخميس ٢٦ صفر من السنة ١٤ من البعثة..

وبدءوا مُشاوراتهم.. وأدلى كُل منهم بما في جُعبته الخرقاء الخَلَقة الخَرِبة.. فاقترح أبو البُختري بن هشام[١٦٥] أن يُسجن حتى الموت.. فاعترض الشيخ النجدي -إبليس عليه لعائن الله أجمعها- وقال: سيعلم أصحابه ويُخرجونه.. ثم اقترح آخر أن يُطرد أو يُبعد خارج مكة.. فخَوّفهم الشيخ النجدي من ظهروره في منفاه.. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة رجلاً، فيقتلوه بضربة رجل واحد.. فيتفرّق دمه في القبائل ولا تدري بنو عبد مناف ماذا تصنع.. فَسُرّ إبليس بهذا الرأي وقال: هذا الرأي الذي لا أرى غيره..

ثم بدءوا بتنفيذ الخطة.. لكن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾{الأنفال ٣٠}..

---

(١٦٥) كان من أحكم رجال قُريش، وكان ممن نقض صحيفة المقاطعة مع أربعة آخرين.

قال سيد قطب في تفسيره: "إنها صورة ساخرة، وهي في الوقت ذاته صورة مفزعة، فأين هؤلاء البشر الضعاف المهازيل من تلك القدرة القادرة، قدرة الله الجبار، القاهر فوق عباده، الغالب على أمره، وهو بكل شيء محيط[١٦٦].

هُنا.. حصلت هذه المؤامرة.. هنا في مكان تحت قدميك انعقد مؤتمر الشرّ.. ألا يُذكّركَ هذا بأن الله سينصر دينه وأولياءه.. إذا كانوا صادقين.. مهما كان كيد الأعداء قويًا؟ اللّهُمَّ اجعلنا من الصادقين يا رب العالمين..

الملتزم

هو مكان الالتزام من الكعبة فيما بين الحَجَر الأسود وباب الكعبة المشرفة ، وسمي بالملتزم لأن الناس يلزمونه ويدعون الله عنده.. وقد وردت الآثار الصحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم في تحديده.

وَيُسَنّ وضعُ الخَد وَبَسْطُ اليد وإلصاق الوجه والصدر في هذا الموضع من البيت؛ لأنه ﷺ كان يضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه بين الركن والباب - يعني في الطواف-.. واقتدى به الصحابة العظام[١٦٧].. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإن أَحَبَّ أن يأتي الملتزم وهو ما بين الحَجَر الأسود والباب، فَيَضَعُ عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ، ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته، وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع ، فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون

---

(١٦٦) انظر: في ظلال القرآن (١٥٠١/٣).

(١٦٧) انظر تفصيل الأحاديث وتخريجها في السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله رقم ٢١٣٨.

حال الوداع أو غيره ، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة" اهـ.

فماذا ستدعو إن استطعت الوصول إليه؟؟ ولا تَنْسَنا يا أخي من دُعائِك..

بيت الزوجية

عندما تخرُج من باب الملك عبد العزيز (باب رقم واحد) وتنظر أمامك مع انحراف يسير إلى اليسار تجد مستشفى أجياد.. مكانه كان بيت خديجة بنت خويلد ﵂.. هذا البيت الذي سَطَعت أنواره وسَرى البشرُ والخيرُ في أروقته منذ أن تَشَرّف بدخول الحبيب ﷺ إليه..

إنه بيت أكمل النساء.. وخير النساء.. الصادقة الصابرة النَّقيّة التَّقيّة.. الشريفة العفيفة.. ذات الشرف والحسب والنسب والثروة.. من منا لا يتذكّر خديجة وقد تَقَدّم لها كبار أشراف مكة.. تُجارهم ورؤوس أموالهم.. لكنها فَضّلت الارتباط بمحمد ﷺ الفقير الذي كان عاملاً عندها.. ليَكتُب التاريخ اسمها بحروف النور[١٦٨].. ويُحيطه بهالات الخيرات والبركات الربانية..فماذا ستتذَكّر عندما تقف مكان بيت خديجة أو تراه؟، بيت عاش فيه الحبيب.. فيه زَمّلته وِدَثّرته بعد حادثة الغار.. وفيه نزل الوحي.. فيه اجتمع المسلمون قبل انتقالهم إلى دار الأرقم، وفيه وُلِدَ أبناؤه وبناته كُلّهم إلا إبراهيم عليهم السلام.

وفي هذا المنزل أيضًا فارقت خديجة الدنيا إلى بيت اللؤلؤ، فقد أتى جبريل عليه السلام إلى الحبيب وقال له: (يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء

---

(١٦٨) مرشد السالكين صفحة ١٠٨ بتصرّف.

فيه إدام وطعام فإذا أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[١٦٩]..

أعرف أن عينيك اغرورقت شوقًا إلى حبيبك ﷺ وإلى أمك خديجة رضي الله عنها، وأعرف أن ذكرياته معها تَمُرّ الآن بخاطرك.. وتجول في فكرك.. ابكِ.. فَحَقّ لك البُكاء.. لعلك تكون ممن قال فيهم الحبيب ﷺ: **(إنَّ من أشدّ أُمتي لي حُبًّا؛ ناسًا يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله)**[١٧٠]..

للعلم فقط: بالقرب من دار خديجة رضي الله عنها كانت دار أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه، الذي قال عنه الحبيب ﷺ في فتح مكة: **(من دَخَل دار أبي سفيان فهو آمن)** كما أخرج مُسلم في صحيحه..

بيت المولد

سواء خرجنا من باب الصفا أو من باب المروة، ونظرنا إلى الأمام.. وعلى بُعد نحو (٥٠٠) مترًا، فإننا سنجد بناءًا أبيض يتلألأ كتلألؤ الجوزاء في ليلة صيفية.. إنه بيت أبي طالب.. البيت الذي وُلد فيه الحبيب ﷺ.. ففيه رأى النورُ النورَ.. فيه استنشق الحبيب أول ذرة هواء.. ومنه انطلق شعاع النور ليُضيء قصور الشام[١٧١].. بل يُضيء الكون كُلّه..

---

(١٦٩) متفق عليه، انظر مشكاة المصابيح ٦١٧٦.

(١٧٠) رواه مسلم، انظر مشكاة المصابيح ٦٢٧٥.

(١٧١) قال ﷺ: **(رأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام)** السلسلة الصحيحة رقم ١٩٢٥.

سعدت بمولد أحمد الأزمـانُ *** وتعطـرت بعبيره الأكـوانُ

والشركُ أنْذَرَ بالنهايةِ عندما *** وُلِدَ البشيرُ وأشرقَ الإيمانُ

فماذا عساكَ أن تتذكر عندما ترى هذا البيت أو تقف أمامه أو تدخله[١٧٢]؟ هل ستتذكر يُتمه ﷺ فترحم اليتامى؟ أم ستتذكر فقره فتحِنَّ على الفقراء؟ أم ستتذكر البركة التي حلت على مكة كلها بمولده؟ أم ستتذكر العناية والرعاية الإلهية له؟ أم ستتذكر ذلكَ الوجه الأنور الأزهر المبارك الشريف الذي كانوا في الجاهلية يستسقون به الغمام، فقال عمه أبو طالب:

وأبيضُ يُستسقى الغَمَام بِوَجْهِهِ *** ثِمال اليتامى عِصْمَةٌ للأراملِ

فداكَ أبي وأمي ونفسي وأهلي يا رسول الله..

شِعْبُ أبو طالب

ذلكَ البيت المنير.. الذي وُلد فيه الحبيب ﷺ هو –تقريبًا– بداية شعب أبي طالب.. ذلكَ الشِّعبُ الذي دخل التاريخ من أوسع أبوابه.. فما من كتاب سيرة أو كتاب تاريخ إلا ويُذكر فيه شعب أبي طالب.. لكن في فترةٍ كانت من أحلك الفترات في تاريخ دعوة الحبيب ﷺ.. ففي هذا الشِّعب حوصرَ وَمَنْ معه من المؤمنين وقوطِعوا[١٧٣].. فقد تحالفت عليهم قريش.. فقرروا ألا يبيعوا

---

(١٧٢) وهو اليوم مكتبة عامة.

(١٧٣) وقد انحاز إليهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، مسلمهم وكافرهم، إلا أبا لهب لعنه الله فقد بقي مُقاطِعًا.

للمسلمين شيئًا.. ولا يشترون منهم.. ولا يُكلموهم.. ولا يُجالسوهم.. ولا يقبلون منهم صُلحًا ولا تأخُذهم بهم رحمة.. وكتبوا على ذلكَ صحيفة عُلقت في جـوف الكعبة.. وكانت بخط بغيض بـن عامر بن هاشم[١٧٤] عليه من الله يستحق..

ثلاث سنواتٍ مستمرةٍ.. أصاب المُحاصرين فيها الجوع والفاقة.. فأكلوا أوراق الأشجار.. وجلود الحيوانات.. حتى سُمعت أصوات الأطفال والنساء يتضاغون جوعاً..

فماذا سَتَتَذَكَّر عندما تقف أمام هذا الشعب.. هل ستتذكر ما جرى وتقول: (**شعاري في حياتي هو.. كُلّ شيءٍ يهون لأجل دين الله..؟؟**).

غار حراء

هُناك.. على بُعد أربعة أكيال من مكة تقريبًا كان الموعد المنتظر.. في ذلك اليوم المشهود.. وفي تلك الليلة المباركة من ليالي رمضان.. وفي ذلك المكان المرتفع.. عالي القمة.. يُشبه القلعة على رأس الجبل.. في غار حراء.. الغار الذي طالما ذَهبَ إليه ليتعبّد ويتحَنّث.. ليتفكّر ويتذكّر.. حتى كان الموعد..

هُناك كان أول لقاء بين جبريلُ عليه السلام وبين رسول الله إلى الناس أجمعين ﷺ.. هُناك.. نَزَلَ النُّور.. وأي نور.. إنه النور الإلهي.. نور ﴿اقْرَأْ﴾.. نور

---

(١٧٤) اسم على مُسمى، فهو بغيضٌ وهو بغيض، وقد دعا عليه النبي ﷺ فَشُلّت يداه، روضة الأنوار ١٥١.

الوحي الذي نزل على محمد ﷺ في ليلة البِشر.. وليلة الخير.. وليلة القدر.. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾(١٧٥) {الدخان ٤}..

من هُناك.. انطلقت بدايات التغيير.. تغيير كُلّ العالم من الضلالة إلى الهُدى.. ومن الجور إلى العدل.. ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده جل وعلا..

ماذا ستتذَكّر لو وصلتَ إلى هناك؟ وليس سهلاً أن تصلَ إلى هُناك.. فالصعود إلى هُناك يحتاج إلى أزيَد من ساعة.. في عقبات كئود..

تَذَكّر هُناك أولاً رحمة ربنا تبارك وتعالى بنا وكرمه علينا أن أرسل لنا محمدًا ﷺ ليُرشدنا إلى الهُدى.. ليُدِلّنا على الطريق الموصلة إليه جلّ وعلا.. وقُل: الحمد لله الذي جعلني مُسلمًا.. الحمد لله الذي جعلني من أمة محمد ﷺ.. قُل: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..

ثُم تذكّر حبيبك ﷺ وتضحيته لأجل أُمته.. لأجلنا نحن.. كان لا ينام الليل.. وهو يقول: (**أُمتي أُمتي**)..

---

(١٧٥) بينما الحبيب ﷺ في غار حراء، جاءه المَلَك فقال: اقرأ، قال: **(ما انا بقارئ)** قال: فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: اقرأ، فقلت: **(ما انا بقارئ)** فأخذني فَغَطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: **(ما انا بقارئ)** فأخذني فَغَطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾{سورة العلق}...

غار ثور (غار الهجرة؟)

إنه غار الهجرة.. يقع على بُعد نحو ثمانية أكيال جنوب مكة.. آوى الحبيب ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى تلك الصخرات ليحتموا عن أعيُن أهل قُريش.. عند الهجرة.. ومكثوا ثلاث ليالٍ..

هُنا تجَلّت أعظم درجات اليقين بالله.. فقد روى الشيخان أن الباحثين الطامعين بجائزة مقدارها مائة ناقة وَقَفوا على فم الغار.. فانخلع قلب أبو بكر رضي الله عنه خوفًا على حبيبه وحبيبنا ﷺ فقال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار.. فقلتُ: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا.. فقال: **(يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)**.. إنه اليقين الحقيقي.. يا رب ارزقنا حقيقة اليقين.. يا الله..

يقع الغار في أعلى جبل شامخ.. يحتاج صعوده إلى جُهد كبير.. ووقت طويل.. لكن ماذا ستتذكّر لو قَدّر الله لك الذهاب إليه أو رؤيته؟ ستتذكّر تضحية الحبيب ﷺ وصاحبه في هجرتهم.. وستتذكّر أسماء بنت الصّديق وهي تقطع ثمانية أكيالٍ ليلاً لتأتيهم بالطعام والشراب، وقطعت نطاقها لتربط به القربة، فسُمّيت ذات النطاقين.. وتتذكّر أخاها عبد الرحمن وهو يأتيهم بأخبار القوم..

هُناك تَرِدُ معالم الهجرة إلى نفسك وإلى فكرك.. فتتذكّر كُل أحداثها.. الإعداد الجيّد والأخذ بالأسباب.. عَلِيٌّ الفدائيّ الأول.. طلب قُريش لهم والجائزة الكبرى.. وقصة سُراقة بن مالك.. وغيرها..

مسجد الجن

بعد أن اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ في مكة أخذ يبحث عن ملاذٍ آمن.. عن مكان آخر.. عن أُناسٍ آخرين يأوونه ويحمونه وينصرونه حتى يُبلغ رسالة ربه(١٧٦).. فاتَّجَهَ نحو الطائف.. مشى نحو ثمانية وثمانين كيلاً عن مكة.. وهناك واجه ما لم يكن يتوقعه.. واجه الرفض والضّرب والشّتم..

فقد أغروا صبيانهم وسفهائهم ليرجموه بالحجارة.. فَخَرَجَ هائمًا على وجهه مهمومًا مغمومًا.. فما أفاق إلا وهو في "قرن الثعالب" أو "قرن المنازل".. وإذا هو قد أُدميت قدماه الشريفتان.. فجلسَ وقد أثر في نفسه ما لاقاه من أهل الطائف.. فصار يدعو ربه: (**اللهم إني إليكَ أشكو ضعف قوتي.. وقلة حيلتي.. وهواني على الناس.. إلى من تكلني...**)(١٧٧).

وهنـاك حَصَلَت قصة عَدَّاس، وقصة نُزُول جبريل ومَـلَك الجبال عليهما السلام حيث تَجَلَّت فيها رحمة الرسول ﷺ بِأُمَّتِه(١٧٨).. ثُمَّ تَقَدّمَ

---

(١٧٦) عن جابر بن عبد الله قال: "مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين، يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى، يقول: **(من يؤويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة)** حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر -كذا قال- فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع.." السلسلة الصحيحة رقم ٦٣.

(١٧٧) أخرجه الطبراني من حديث ابن إسحاق، وهو مدلس وقد عَنعن، ضعيف الجامع رقم: ١١٨٢.

(١٧٨) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: قال: (.. **فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما رَدُّوا عليكَ، وقد بَعَثَ إليك مَلَكَ الجبال لتأمُرَهُ بما شئت فيهم، قال: فناداني مَلَكُ الجبال، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئتَ أُطبق عليهم الأخشبين، فقال: (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا)** . متفق عليه.

الحبيب قليلاً نحو مكة حتى وَصَلَ إلى مكان اسمه (نخلة).. وهُناكَ صَرَفَ الله تعالى إليهِ نفرًا من الجنّ يستمعون قراءته في صلاة الفجر إماماً بأصحابه.. وما أروعَ أن يُسمع كلام الله من فم رسول الله.. فأنصَتوا وألقَوا السَّمعَ وقلوبُهم شاهدةٌ حاضرةٌ.. فأسلموا لله.. وآمنوا برسول الله، ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا*يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾{الجِنّ ١}.

وفي هذا المكان.. وعلى بُعد نحو ميلين شرق الكعبة.. بُني مسجدٌ أسموه مسجد الجن تخليداً لقصة هؤلاء النفر.. عند الوقوف أمام هذا المسجد تقشعر الأبدان رهبة.. وشوقاً وحُبًا.. وتبجيلاً وتعظيماً.. وعندما تُصلي فيه فرضاً أو تحية المسجد تطير بفكركَ إلى ما قبل (١٤٠٠) سنة.. تتذكر فيه الحبيب ﷺ وما لقي من أجل هذا الدين.. رُمي بالحجارة.. سال دمه الشريف في هذه البقعة.. انهمرت دموعه حزنًا على أمته.. أليست هذه رسالة لنا تقول: (**الدين.. أغلى ما تملك؛ وتهون في سبيله الروح والنفس وما دونهما**...)؟.

هناك.. تطير بفكركَ لتتذكر زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو يدفع عن رسول الله ﷺ.. فيتلقى الحجارة بوجهه وظهره.. ولسان حاله يقول: فداك روحي يا رسول الله.. فداك دمي يا رسول الله.. نتذكر هذا ليكونَ دافعاً لنا لنذُبَّ عن رسول الله.. وعن دين وسُنّة رسول الله.. وعن حديث رسول الله ﷺ..

هناك.. في هذا المسجد.. تطير بفكرك لتتذكر إخوانًا لنا من الجن اجتمعوا برسول الله ﷺ.. وسمعوا كلام الله.. فآمنوا به وصدَّقوه ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا**

مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾{الأحقاف ٢٩}.

(وَلّوْا) يعني أسرعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الحقّ وإلى الصراط المستقيم.. وقالوا لهم: **﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**{الأحقاف ٣٠- ٣١} أما ينبغي لنا أن نكون كهؤلاء.. نُنْذِر إخوانًا لنا.. وأصحابًا لنا.. وأحبابًا لنا.. وزملاء لنا.. بعيدين عن الحق ونقول لهم: **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾**؟.

مقبرة المُعلاة

على بُعد خُطوات تمشيها شرقاً من مسجد الجن، ترى هناكَ نوراً يسطعُ.. وضياءً يلمعُ.. وللهدى والخير والبركة مجمع..

وَلَكَ أن تتساءل: ما هذا النور؟ ما هذا الضياء؟ ستُجيبُكَ حَبَّاتُ الرمالِ التي شاهَدَت.. وَقِمَمُ الجبالِ القريبة التي عايَنَت.. وَذَرَّاتُ الهواءِ التي رأت.. وليس من رأى ومن عايَنَ ومن شاهد كَمَنْ سَمِعَ.. أو قرأ..

ستُجيبك: هذه مقبرة المعلاة... وهذا قبر خديجة بنت خويلد... الحبيبة زوجة الحبيب.. الغالية زوجة الغالي.. العظيمة زوجة العظيم..

إنها أُمّ المؤمنين.. أول من آمن بالحبيب ﷺ.. إنها رمز الوفاء والصدق والحكمة والعقل والصبر والثبات والتضحية.. ماذا نقول عنها وقد خَصَّها الله تعالى بالسلام مع جبريل عليه السلام؟؟ ألا يكفي أن الحبيب ﷺ أخبرنا أنها من خير نساء العالمين في الدنيا(١٧٩) ومن سيدات نساء الجنة(١٨٠)؟.

إنها خديجة.. قبرها هُنا في المعلاة.. ومَنزلها هُناك في الجنان.. من قصب.. لا صخب فيه ولا نصب.. رحمكِ الله يا أُماه.. رحمك الله يا من آمنتِ بالحبيب يوم كَفَرَ به الناس.. صَدّقتِيه حين كَذّبه الناس.. وواسَيْتِهِ بمالكِ إذ حرمه الناس.. ورزقه الله منكِ الولد..

ماذا يجب أن نتذكر عندما نزور "المعلاة"؟ نتذكر أبا طالب عَمّ الحبيب الذي طالما حماه ودافع عنه وأيده -رغم انه لم يُسلم-..

ونتذكر أسماء بنت الصديق وصبرها ونطاقيها.. نتذكر أخاها عبد الرحمن وتضحيته في الهجرة.. نتذكر ابنها عبد الله بن الزبير.. فَكُلّهم جيران لخديجة في قبرها... رضي الله عنهم أجمعين...

يا رب.. اجمعنا مع الحبيب ﷺ وآلهِ وأصحابه أجمعين.. يا قادر.. يا الله..

---

(١٧٩) قال ﷺ: **(خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)**. حديث رقم: ٣٣٢٨ في صحيح الجامع الصغير.

(١٨٠) قال ﷺ: **(أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)**. حديث رقم: ١١٣٥ في صحيح الجامع.

معالم "مناسك الحجّ"

عرفات (عرفة)

في اليوم التاسع من ذي الحجة يتوجّه الحاج إلى عرفات.. وما أدراكم ما عرفات.. أرضٌ واسعة منبسطة وميدان فسيح[١٨١].. تبعُد عن مكة نحو ١٨ كيلاً إلى الشرق.. إذا كُنت حاجًّا ستذهب إليها، وإذا كُنت معتمرًا ستزورها.. لكن ماذا ستتذكّر هُناك؟؟

هُناك الكثير من الذكريات.. ستتذكّر أن يوم التاسع من ذي الحجة هو يوم عرفة.. سَيّد الأيام وأفضلها على الإطلاق.. ولا يُدانيه يومٌ في الفضل والكرامة.. بل إن الله تعالى العظيم يُباهي الملائكة بعباده فيه.. قال ﷺ: (**إن اللهَ يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثًا غبرًا**)[١٨٢].. وقال ﷺ: (**ما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبدًا أو أَمَةً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة..**)[١٨٣]..

ستتذكّر هُناك يوم الحشر.. فلا أحساب تنفع.. ولا الأنساب تنفع.. ولا الجاه أو السلطان ينفع.. يستوي هُنا العباد.. كُلّهم.. الأبيض والأسود.. الحاكم والمحكوم.. الصغير والكبير.. الذكر والأنثى.. فلا فَضْلَ لأحد على غيره إلا

---

(١٨١) طولها تقريبًا نحو ميلين وعرضها كذلك، مرشد السالكين صفحة ١١٩.

(١٨٢) أخرجه أحمد وغيره، انظر حديث رقم: ١٨٦٧ في صحيح الجامع.

(١٨٣) أخرجه مسلم والنسائي، انظر حديث رقم: ٥٧٩٦ في صحيح الجامع.

بالتقوى.. فالأجسادُ مُجرّدة إلا مما يستر العورات.. والقلوب مُجرّدة إلا مما يُقَرّب إلى الله.. الأبصار خاشعة.. القلوب واجفة.. الألسن تلهج بالدعاء.. في أعظم يوم في السَّنة..

أخرج الشيخان عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾{المائدة ٣}. فقال عمر ﷺ: (إني لأعلم المكان الذي نَزَلَت فيه، واليوم الذي نَزَلَت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ في عرفات في يوم جمعة).. والعيد هو موسم الفرح والسّرور.. في هذا اليوم يكون الفرح الحقيقي.. تُغفر فيه الذنوب.. وتتنزّل فيه الرحمات.. ويصغُر في الشيطان ويحقر(١٨٤).. إنه يوم عَرَفة..

وتتذكّر في عرفات الحبيب ﷺ وقد وَقَفَ عند الصخرات على جبل الرحمة راكبًا ناقته القصواء.. متوجهًا إلى القبلة يدعو ربه تعالى.. وهُناك نزلت الآيات السابقة..

وفي عرفات تتذكّر أن رسول الله ﷺ ضَرَبَ خيمته في "نَمِرَة" وهي في آخر عرفات أقرب إلى المزدلفة حيث بُني مكانها مسجد نمرة.. وهو مسجد ضخم جدًا.. وهُناك صلى الحبيب ﷺ بالناس الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، ثم خَطَبَ

---

(١٨٤) قال ﷺ: **(ما رُئِيَ الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يَرَى فيه من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رُئِيَ يوم بدر فإنه رأى جبرائيل عليه السلام يزع الملائكة)** ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وَصَدّره بلفظ عن، وضعفه الألباني رحمه الله.

بهم خُطبة الوداع المشهورة.. أعظم وأبلغ خُطبة في تاريخ الإسلام.. فلا تنسى أوامره ﷺ فيها..

مُزدلفة (المشعر الحرام)

بعد غُروب شمس يوم عرفة يبدأ الناس بالإفاضة من عرفات إلى مُزدلفة، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**﴾{البقرة ١٩٨}... ومزدلفة موضع بين عرفات ومِنى.. وفيها ينزل الحجاج ليلاً فيُصلّون المغرب والعشاء جمع تأخير ثم ينامون استعدادًا ليوم حافل بالأعمال هو يوم النحر..

ماذا تتذكّر في مُزدلفة؟ تتذكّر حبيبك ﷺ في حجة الوداع.. جاء إلى هُنا.. وبات هُنا.. ومنها يلتقط الحاج سبع حصيات ليرمي بها الجمرة الكبرى.. وبقلبه يرمي الشّر.. يرمي إبليس ومن تبعه.. من البشر.. من العرب والعجم..

وادي مُحَسّر

هنا.. بين مِنى ومُزدلفة.. وبالقرب من مسجد المشعر الحرام.. يقع "وادي مُحَسّر".. تتذكّر فيه عظمة الله تعالى.. تتذكّر قُدرة الله العظيمة.. فَهُنا أهلكَ الله تعالى أبرهةَ وفيله وجيشه.. فقد قرر أن يُوجّه الناس إلى غير الكعبة.. فأبى الله إلا أن يتوجه الناس إليها.. أرادَ أن يَصرف قُلوب الناس إلى بيت

المخلوقين.. لكنّ الفطرة تختار الخالق.. لأن الله تعالى هو الذي أمر بذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾{آل عمران ٩٧}...

ولاشكّ أنه سيدور في خُلدك أن الله تعالى سيحمي بيته.. في كُل وقتٍ وحين.. مهما اعتدى المعتدون.. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾{سورة الفيل}...

اللّهُمَّ احمِ بيتك.. اللّهُمَّ احم مسجدك الأقصى.. ورُدّه إلى حُكم المسلمين الصادقين المخلصين.. يا رب العالمين..

للعلم فقط: كان رسول الله ﷺ يُسرع عندما يَمُرّ بمكان نَزَل فيه بأس الله تعالى وغضبه، ففي حجته أسرع عندما مَرّ بوادي مُحَسّر كما أسرع في طريق تبوك عندما مَرّ على ديار ثمود..

مِنى

تبدأ مِنى من وادي مُحَسّر وتنتهي بالجمرة الكبرى.. جمرة العقبة.. ينزلها الحجاج.. ويمكثون فيها ثلاثة أيام أو أربعة.. فيها تُرمى الجمرات.. الصغرى والوسطى والكبرى.. تلك الجمرات التي عندها الذكريات.. فالجمرة الكبرى أو جمرة العقبة.. عندها كانت بيعة العقبة الأولى التي كانت لجهد مصعب بن عمير رضي الله عنه في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن الكريم وتفسيره.. وفيها بايع اثنا عشر رجلاً من الأنصار الرسولَ ﷺ.

وقد تحدث عبادة بن الصامت الخزرجي عن البيعة فقال: بايعنا رسول الله ﷺ على ألا نشرك بالله، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، قال ﷺ: (**فإن وَفَّيتُم فَلَكُم الجَنة، وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء غَفَرَ وإن شاء عَذَّب**)(١٨٥).

تَذَكّر ولا تنسى هذه البنود دائمًا.. فإنها للتطبيق الفوري.. طاعة للرسول ﷺ وأسوةً بصحابته الكرام.. أما الجمرة الوسطى.. عندها كان البيت الذي حَمَلَت فيه آمنة بنت وهب بالرسول ﷺ..

وتتذكّر أيضًا في مِنى عظمة الله تعالى وعجائبه في خلقه.. فهذا المكان الضيق يَتّسع في كُل عام إلى أكثر من مليوني حاجّ.. اسمعوا إلى حبيبكم ﷺ وهو يقول: (**مثل مِنَى كالرحم في ضيقه.. فإذا حملت وسعها الله**)(١٨٦)..

وفيها أيضًا مسجد الخيف.. إذا رأيتَهُ أو صَلّيتَ فيه تتذكّر حبيبك ﷺ.. فقد نَزَلَ أثناء حجته في هذه المنطقة.. ضُربت خيمته في مكان هذا المسجد.. وهُنا خَطَب بالناس خُطبة العيد يوم النحر..

ومِنى أيضًا بما فيها من مشاعر فإنها تُذكّرنا بأبينا إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل عليهم أزكى الصلاة وأتم التسلم.. وقِصّة الفداء بالكبش التي

---

(١٨٥) صحيح مسلم ٤١- (١٧٠٩).

(١٨٦) عزاه السيوطي للطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء، ضعيف الجامع رقم: ٥٢٥٠.

قَصّها علينا القرآن الكريم(١٨٧).. وقد كانت قُرون الكبش مُعلّقة في جوف الكعبة حتى عهد عبد الله بن الزبير ﷺ.. وقد بُني هُناك مسجدٌ اسمه مسجد "الكبش" في مكان الفداء.. مكان ذَبْح الكبش(١٨٨)..

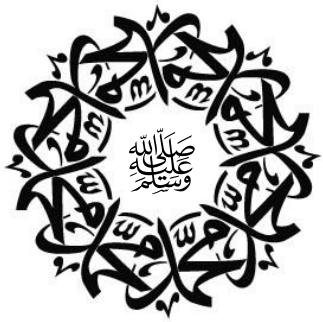

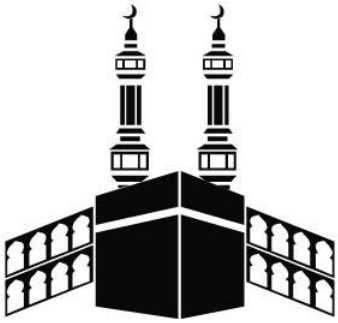

(١٨٧) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾{الصافات ١٠٢ - ١٠٦}.

(١٨٨) مرشد السالكين صفحة ١٢٦.

خاتمة

هذه بعض الكلمات.. كتبتها بشوق قلبي.. قبل مداد قلمي.. وزخرفتها بلهفتي إلى تلك الديار .. وبَيّنت ما جال في خاطري من الأسرار.. عن الحرمين وما فيهما من آثار.. حتى لا يفتر عقلنا ولا قلبنا عن التذكار.. لنبينا محمد ﷺ وعلى آلِهِ الأطهار.. المُكَرّمين الأبرار.. وصحابته الطيبين الأخيار..

أسأل الله تعالى العزيز الغفار.. أن يجمعنا معهم في الجنان وحول الأنهار.. وأن يجعلنا ممن يقول لهم: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ {الرعد ٢٤}...

و أسأل الله العظيم.. عالم الخفيات.. المُطّلع على السرائر والنّيات.. ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماوات.. أن يُصلح نياتنا.. وأن يَتَقَبّل منا عملنا هذا.. ويجعلهُ لنا ذُخرًا يوم نلقاه.. وأن ينفع به المسلمين.. إنه وليّ ذلك والقادر عليه..

إبراهيم غانم

أبو عبد الرحمن

خرائط مُلحقة

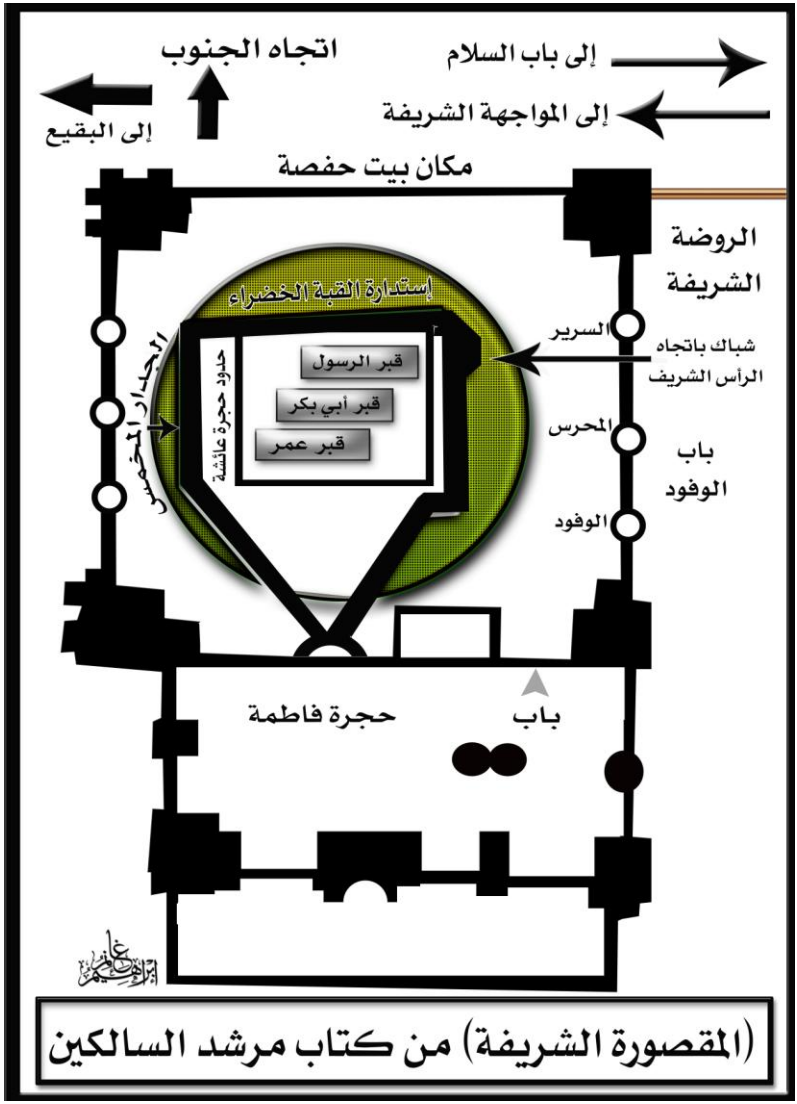

(المقصورة الشريفة) من كتاب مرشد السالكين

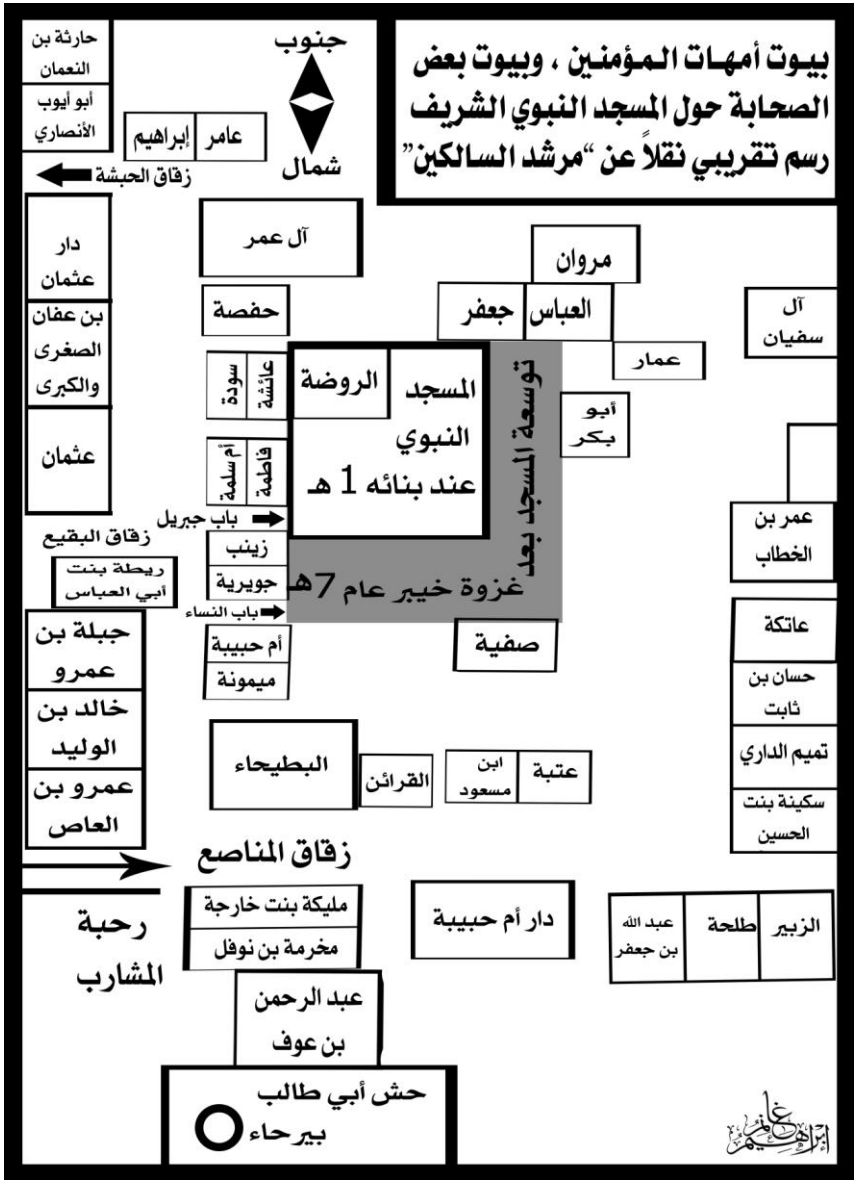
بيوت أمهات المؤمنين ، وبيوت بعض الصحابة حول المسجد النبوي الشريف
رسم تقريبي نقلاً عن "مرشد السالكين"
جنوب
شمال
حارثة بن النعمان
أبو أيوب الأنصاري
عامر
إبراهيم
زقاق الحبشة
دار عثمان بن عفان الصغرى والكبرى
عثمان
آل عمر
حفصة
عائشة
سودة
أم سلمة
فاطمة
الروضة
المسجد النبوي عند بنائه 1 هـ
توسعة المسجد بعد غزوة خيبر عام 7هـ
مروان
العباس
جعفر
عمار
أبو بكر
آل سفيان
عمر بن الخطاب
عاتكة
حسان بن ثابت
تميم الداري
سكينة بنت الحسين
باب جبريل
زقاق البقيع
ريطة بنت أبي العباس
زينب
جويرية
باب النساء
أم حبيبة
ميمونة
صفية
جبلة بن عمرو
خالد بن الوليد
عمرو بن العاص
البطيحاء
القرائن
ابن مسعود
عتبة
زقاق المناصع
رحبة المشارب
مليكة بنت خارجة
مخرمة بن نوفل
دار أم حبيبة
الزبير
طلحة
عبد الله بن جعفر
عبد الرحمن بن عوف
حش أبي طالب
بيرحاء
إبراهيم غلام

الكعبة المُشَرّفة.. معالم وآثار

1 - الحجر الأسود.
2 - باب الكعبة.
3 - الميزاب (مزراب الرحمة).
4 - الشاذروان.
5 - الحطيم (حجر إسماعيل).
6 - الملتزم.
7 - مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.
8 - ركن الحجر الأسود.
9 - الركن اليماني.
10 - الركن الشامي.
11 - الركن العراقي.
12 - ستار الكعبة.
13 - خط المرمر البُني (بداية الطواف).

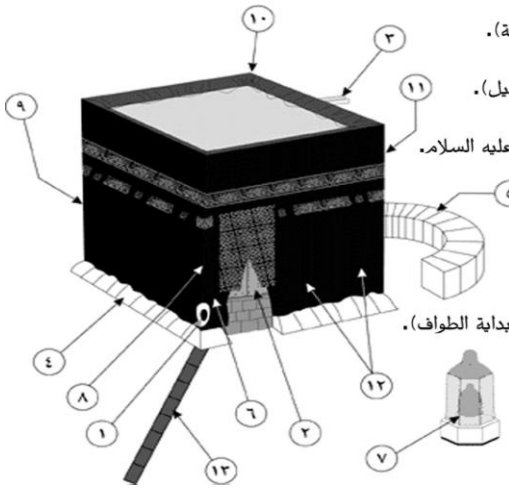

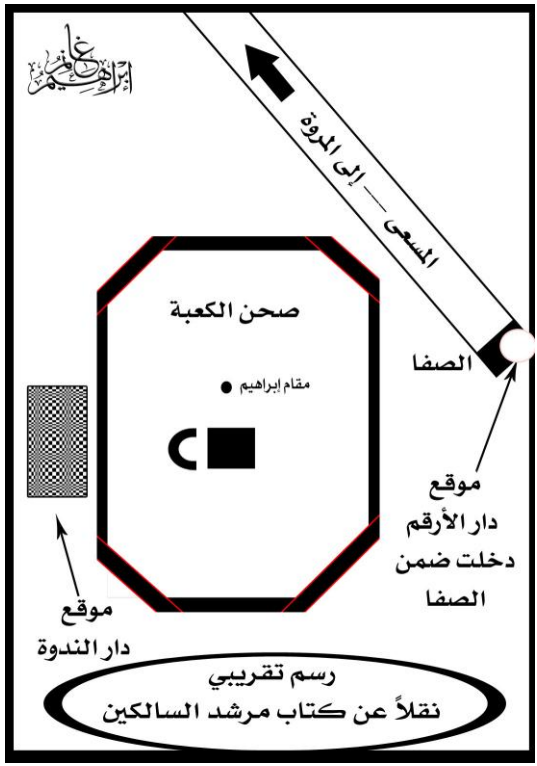

المصادر والمراجع

١. أحكام وخصائص الحرمين المكي والمدني، د. علي أحمد القاعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨.
٢. السيرة النبوية دروس وعبر، د. علي الصلابي، دار الفجر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.
٣. نساء أهل البيت ، د. أحمد خليل جمعة، اليمامة للنشر، دمشق، ط ٦، ٢٠٠٥.
٤. تاريخ عمارة المسجد الحرام، حسين عبد الله باسلامة، تهامة للنشر، جدة، ط٣، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.
٥. تاريخ الكعبة المشرّفة، حسين عبد الله باسلامة، تهامة للنشر، جدة، ط٢، ١٤٠٢٠ هـ-١٩٨٢ م.
٦. وبل السحابة على نظم الصبابة، د. سعود شريم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٧. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، صفي الرحمن المباركفوري، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط٨، ١٤٣٢ هـ.
٨. لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
٩. الكعبة مركز العالم، د. سعد المرصفي، مؤسسة الريان للنشر، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
١٠. المدينة المنورة.. تاريخ ومعالم، مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة (١٥) ، ١٤٢٦.
١١. تاريخ المدينة المنورة المصوّر، د. محمد إلياس عبد الغني، مطابع الرشيد، المدينة، ط١، ١٤٢٤، ٢٠٠٣.
١٢. خارطة الطريق إلى البيت العتيق، أحمد ذياب عطايا، ط٢، ٢٠١١.
١٣. الدليل المختصر للحاج والمعتمر، أحمد ذياب عطايا، ط١، ١٩٩٩.
١٤. مرشد السالكين سبيل المدينة المنورة والبلد الأمين، أحمد ذياب عطايا، ط١، ٢٠٠٣.
١٥. ركائز الدعوة إلى الله، أ.د. فضل إلهي، مؤسسة الجريسي للتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٤.
١٦. نزهة الناظرين في مسجد أول الأولين والآخرين، السيد جعفر البرزنجي، المكتبة العلمية، بيروت.
١٧. مكة المكرمة تاريخ ومعالم، محمود محمد حمو،حضارة مكة، ط٥، ١٤٣٢هـ
١٨. برامج مكتبة ابن تيمية، وابن باز وابن عُثيمين، والألباني وغيرها من إنتاج موقع روح الإسلام على شبكة الإنترنت، وبعض المواقع الأخرى؛ كصيد الفوائد، موقع المناسك، وموقعا الشيخين ابن باز وابن عثيمين وغيرها.

فهرس

تمهيد	٥
تبوك	٩
تيماء	١٣
خيبر	١٤
المدينة المنورة	١٩
المسجد النبوي الشريف	٢٠
قبر الرسول ﷺ	٢١
بيت حفصة بنت عمر ﷺ	٢٣
بيت عائشة ﷺ	٢٤
بيت سَودة بنت زمعة ﷺ	٢٥
بيت أم سَلَمة ﷺ	٢٦
بيت زينب بنت جحش ﷺ	٢٨
بيت جويرية بنت الحارث ﷺ	٢٩
بيت أُمّ حبيبة ﷺ	٣١
ميمونة بنت الحارث ﷺ	٣٣
المنبر النبوي الشريف	٣٦
المحراب النبوي الشريف	٤٠
الروضة الشريفة	٤١
أساطين الروضة الشريفة	٤٢
بيت أبو بكر الصديق ﷺ	٤٤
باب الرحمة	٤٦
باب جبريل	٤٧
دَكّة الأغوات (أهل الصُّفّة)	٤٨
البقيع (بقيع الغرقد)	٥٠
مساجد لها مع الحبيب ذكريات:	
مسجد قُباء	٥٢
مسجد القبلتين	٥٤
مسجد الإجابة	٥٦
جبل أُحد	٥٧
جبل سلع	٦١
وداع المدينة	٦٢
الطريق إلى مكة:	
ذو الحُليفة	٦٤
التلبية	٦٥
وادي القديد	٦٦
مكة المكرمة	٦٩
الكعبة المشرفة	٧٣
الحجر الأسود	٧٩
الحِجر (الحطيم)	٨١
زمزم	٨٣
الصفا والمروة	٨٤
دار الندوة	٨٦
الملتزم	٨٨
بيت خديجة (بيت الزوجية)	٨٩
بيت المولد	٩٠
شعب أبو طالب	٩١
غار حراء	٩٢
غار ثور	٩٤
مسجد الجن	٩٥
مقبرة المعلاة	٩٧
معالم مناسك الحج:	
عرفات	٩٩
مزدلفة	١٠١
وادي محسّر	١٠١
مِنى	١٠٢
الخاتمة	١٠٥
خرائط ورسوم ملحقة	
المصادر والمراجع	